المنهل

في أدلة التوسل

تأليف

العلامة عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد السادات وصاحب الآيات البينات، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم في سبيل الخيرات.

أما بعد: فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب "المنهل في أدلة التوسل" الذي يعالج مسألة التوسل التي كثر حولها الخلاف والجدل في هذه الأيام، وقد ذكرت فيه باختصار مذاهب أئمة الأمة المحمدية وأقوالهم، فجاء بحمد لله وافيا للمقصود، بعون الملك المعبود .

وقد رأيت أن الحاجة ملحة إلى إعادة هذه الطبعة الثانية مع إعادة النظر فيه بالتصحيح والتنقيح وإضافة زيادات كثيرة لا تَقِلُّ عن ضعفه، وقد رأيت أنـــها لا يستغنى عنها القارئ والباحث؛ لأهميتها في هذا الموضوع .

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به المسلمين ويجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المدبر الحكيم، القادر العليم، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا يشرك في حكمه أحدا، وأشهد أن لا إله إلا الله الفعال لما يريد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله، شرع لأمته التوسل، ومنع منها التنطع والتوغل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، صلاة وسلاما دائمين ما توسل بجاهه العظيم المتوسلون، وتشفع به المتشفعون، وفزع إلى حضرته الخائفون، وعلى آله وأصحابه الكرام أجمعين.

وبعد: فهذا تأليف لطيف في مشروعية التوسل والاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء والصالحين، لخصته من المقصد الرابع من كتابي (إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين)، مع ضم زيادات كثيرة إليه، وقد وضعته لنصيحة مانعي التوسل المنصفين، وإفحام المتنطعين المعاندين منهم، وسميته: (المنهل في أدلة التوسل).

وعلى الله الكريم اعتمادي واستنادي، وإليه أفوض أمري وبه ثقتي، وأتبرأ من حولي وقوتي، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم تيسير أمري وانشراح صدري، وأتوسل إليه بجاه حبيبه الأعظم وصفيه الأكرم صلى الله عليه وسلم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، فإنه نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

تمهيد

قد يَتسائل البعضُ كيف تُصْرَف الأوقاتُ الغالية إلى البحث عن مسئلة التوسل التي هي من البديهيات، فيقول: إن هذا من إضاعة العمر وشُغلِ البال والفكر بما لا يهتم بمثله ذوو الهمم العالية، فالذي ينبغي لهم صرف هذه الساعات إلى المهمات الدينية وتحرير المسائل الصعبة، وحل المشاكل العريضة التي تعاني بـــها الأمة الإسلامية في هذا العصر، فإن معرفة هذه المسألة ليست من اللوازم الحتمية، ولا من القضايا المهمة، بل هي من الكماليات التي لا يضر الجهل عنها، و لم يُكَلَّفْ على أحد معرفةُ حكمِها، ولا يسئل يوم القيامة عنها، بل قد يؤدي البحث والتشاغل بـــها إلى إثارة الفتن، وإيقاظ الإحن، وتشتيت شمل الأمة.

فأقول: اعلم أن التوسل لم يكن الإهتمامُ به وشغل الأفكار في بحثه في القرون الأولى، لأنه لم يكن بينهم خلاف فيه، بل كانوا متفقين على مشروعيته، وعلى أن مبحثه هو فنّ الفقه، وليس له أيُّ اتصال وعلاقة بفنّ التوحيد، لكن -والأمر لله- ظهرت بعد مضيٍّ القرون الفاضلة فرقة غيَّرت الأحوال وقَلَّبت الأمور، وخلّطت الفنون بالفنون لأغراض سيئة في نفوسها، فجعلت التوسل من المسائل الإعتقادية ونقلته من الفقه إلى فن العقيدة والتوحيد، وجعلت التوسل مضادا للتوحيد، فكفَّرت المتوسلين مرة وفسّقتهم وبدَّعتهم تارة أخرى، فكثر حينئذ الاختلاف والتنازع والتباغض بين الأمة المحمدية، وصاروا شيعا متفرقة، وطوائف متعادية، وفرقا متناطحة، فصار الكلام عنه وتمييز الحق من الباطل واجبا مؤكدا وفرضا

كفائيا؛ وذلك لردع هذه الفتنة وإطفاء نارها، وإعادة الأخُوَّة الإيمانية والتآلف والتكاتف والوحدة إلى ما كانت عليه في السلف الصالح. وهذا هو الذي أوجب على العلماء في بحثه والاستقصاء فيه، ولا شك أن هذا من المقاصد الحسنة، والمطالب السنية. والكلام عن هذه المسئلة وسيلة لهذه المقاصد، وللوسائل حكم المقاصد كما هو القاعدة المشهورة.

ولا يخفى أن حكم الشيء قد يختلف باختلاف الأحوال والأسباب، وباختلاف الأزمنة والأمكنة، فيكون واجبا في وقت، وحراما في وقت آخر، ومندوبا في حال، مكروها في أخرى، بل قد تعتري في الشيء الواحد الأحكام الخمسة كالبدعة[1]، فإن الحكم يدور مع عِلَّتِه نفيا وإثباتا، فحينئذ لا يُستغرَبُ أن يكون البحث عن هذه المسئلة واجبا مؤكدا في هذا العصر بخلاف القرون الأولى الماضية على الاتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ولي التوفيق.

---

[1] فقد قال الإمام النووي رحمه الله في تــهذيب الأسماء واللغات: قال الشيخ الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب (القواعد): البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة اهـ. وقال النووي أيضا في شرح مسلم في باب الجمعة ج٣ص ٤٢٣: قال أهل اللغة: البدعة كل شيء عمل على غير مثال سابق، قال العلماء: البدعة خمسة أقسام، واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران انتهى.

المقدمة

اعلم أن علماء الأمة المحمدية لم تختلف في مشروعية التوسل والاستغاثة ونحوهما، ومضى على ذلك أهل القرون الفاضلة من السلف ومن بعدهم إلى أواخر القرن السابع الهجري، فجاء فيه ابن تيمية[1] بغرائب وعجائب، منها منع التوسل كما صرح بذلك كثيرون من أكابر العلماء، منهم: الإمام المجتهد فخر الحفاظ إمام الفقهاء تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، فقد قال في كتابه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام): اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء والأغمار، وابتدع ما لم يُسْبَق إليه في سائر الأعصار.

وقال أيضا: إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته، في مدة البرزخ وبعد البعث، في عرصات القيامة والجنة.

---

[1] هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، وكان مولده يوم الإثنين عشر ربيع الأول بحران سنة ستمائة وإحدى وستين هـ، وتوفي في عشرين من ذي القعدة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين. وقال الحافظ العسقلاني في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أول ما أنكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ اهـ

وقال أيضا: إن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار بها بين أهل الإسلام مثلة [١]. وقال في موضع آخر منه: وهذا التوسل شيء لم ينكره مسلم بل ولا متدين بملة من الملل[٢] اهـ.

وقال العلامة الفقيه المحدث أحمد بن حجر الهيتمي في كتابه (الجوهر المنظم): من خرافات ابن تيمية التي لم يقلها عالم قبله، وصار بها بين أهل الإسلام مثلة أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك كما أفتى، بل التوسل به حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا والآخرة[٣].

وفي (الدرر الكامنة) لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني: ومن العلماء من ينسب إلى ابن تيمية الزندقة لقوله: إن النبي صلى الله عليه لا يستغاث به، وإن في ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم[٤] اهـ.

وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في (شواهد الحق): لا يخفى على أحد من المسلمين بل وغير المسلمين عنده أدنى إلمام بمعرفة هذا الدين المبين، وأحوال من اتبعه من المؤمنين، أن جمهور الأمة المحمدية من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من الخواص والعوام من جميع مذاهب الإسلام متفقون بالقول والفعل على استحسان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، واستحباب شد الرحال والسفر لزيارته صلى الله عليه وسلم من

---

١ شفاء السقام ص ١٦٠-١٦١.

٢ شفاء السقام ص ١٧٢.

٣ الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم ص٦١.

٤ الدرر الكامنة ج١ص ١٥٥.

الأقطار البعيدة والقريبة، حتى صار ذلك عندهم بمنـــزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، بحيث لا يجهله ولا يتصور خلافه أحد، بل ولا يجوزون أنه يوجد مخالف من المسلمين في استحسان ذلك، وما زالت الأمة بحمد الله كذلك يتلقاه المتأخرون عن المتقدمين، ويعتقدون كما هو الواقع أن ذلك من أفضل الطاعات وأكمل القربات إلى أن شذ عنهم أقل من القليل من بعض العلماء أشهرهم في ذلك ابن تيمية وتلميذاه[1] اهـــ يعني ابن القيم وابن عبد الهادي.

وقال الشيخ عيسى بن عبد الله الحميري في (التأمل في حقيقة التوسل): قد ابتدأ ظهور هذا الخلاف في أواخر القرن السابع للهجرة، ثم زال بسبب تصدي علماء المسلمين آنذاك، وقيامهم بالرد عليهم بالحجة والبرهان على منكريه، ولكن رأيناه يظهر مرة أخرى في عصرنا الحاضر، وظهور هذا الأمر في هذا العصر دليل على ضعف المسلمين كما قال الإمام الكوثري رحمه الله تعالى، ولولا ذلك الضعف لتوقف سريعا كما سبق، ولتصدى له العلماء المعاصرون كما تصدى سلفهم سابقا اهـــ.

وما زال الناس يتوسلون بالأنبياء والصالحين عند الهموم والكروب، والمحن والمصائب، وعند تعسر الحاجات والمطالب المهمة، ولنيل المقاصد العلية الأخروية أو الدنيوية، فقد استسقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به عام الرمادة الذي اشتد فيه القحط بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسل به فسقوا، وكان خالد بن الوليد يتبرك ويستنصر في الجهاد بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزال منصورا. واستغاث الحافظ القسطلاني

---

[1] شواهد الحق ص١٤٣.

بالنبي صلى الله عليه وسلم لما أصابه داء أعيا دواؤه الأطباء فحصل له الشفاء، واستغاث الإمام الحافظ السيوطي بالنبي صلى الله عليه وسلم وأرباب الأحوال، وتضرع إلى الله في هلاك أمير كان في عصره، وقد كان السيوطي يخاف أن يتولى هذا الأمير أمر المسلمين ويدعي الربوبية ويحملهم قهرا على طاعتهم له في ذلك فاستجاب الله دعاءه فيه فهلك ولله الحمد. ولما كثر مرض الحافظ ابن الجوزي لجأ إلى قبور الصالحين. واستسقى الضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي فسقوا.

وعلى هذا جرى عمل أهل المدينة المنورة، وعملهم حجة عند الإمام مالك رحمه الله[1]، فكانوا إذا نزل بـهم البلاء يفزعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستجيرون به، فمن ذلك أنه لما أصاب الناس القحط أتى بلال بن الحارث الصحابي إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله استسق لأمتك فإنـهم قد هلكوا.

وذكر الحافظ ابن الجوزي أن أهل المدينة لما قحطوا قحطا شديدا شكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: انظروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء.. إلى آخر ما يأتي.

وكان محمد بن المنكدر التابعي الجليل يصيبه صمات فيضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم مستعينا به.

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) في حوادث سنة أربع وخمسين وستمائة، ومما ذكره فيها: أنه لما ظهرت النار الحمراء فزع الناس إلى المسجد النبوي،

---

١ فأدلة الشريعة عند الإمام مالك رحمه الله: الأربعة المشهورة -التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس- وعمل أهل المدينة.

وإلى الحجرة الشريفة، واستجار الناس بـــها، وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رءوسهم، وأقروا بذنوبـــهم، وابتهلوا إلى الله تعالى، واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام اهـــ.

وما ذكرناه هنا مجملا يأتي كله إن شاء الله في الكتاب مفصلا.

والمستغيثون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء والصالحين عند أمثال هذه الشدائد والأزمات لا تحصى كثرتـــهم ولا تسعهم الدفاتر، وقد ألف في ذلك الإمام القدوة أبو عبد الله بن النعمان محمد بن موسى التلمساني المالكي المتوفى ٦٨٣هـــ كتابا سماه (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام)، وفي كشف الظنون أن الشيخ سليمان بن موسى الكلاعي المتوفى سنة٦٣٤هـــ ألف كتابا سماه: (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام)، وفي (هداية العارفين) أن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ألف كتابا اسمه (زوال الظما في ذكر من استغاث برسول الله من الشدة والعما).

تعريف التوسل لغة واصطلاحا

التوسل لغة: التقرب، يقال: توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل، قال الجوهري: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير.

وقال ابن الأثير: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

واصطلاحا: هو كما يؤخذ مما قاله السبكي في (شفاء السقام) وغيرُه: سؤال العبد ربه بمن يقطع أن له عند الله قدرا ومرتبة.

حكم التوسل

لقد صرح كثير من العلماء أن حكم التوسل دائر بين الجواز والاستحباب؛ وذلك لأنه وسيلة إلى المقاصد الحسنة، والمطالب العلية، ومعلوم أن للوسائل حكم المقاصد، وليس ذكرا من الأذكار المؤكدة كالتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل، ولا وردا من الأوراد المطلقة التي يتقرب بـها إلى الله تعالى كل وقت وحين، بل هو قربة من القرب التي يؤتى بـها عند أحوال خاصة وأمور طارئة؛ فإنه يؤتى به غالبا عند الهموم والغموم، وعند الخوف من الآفات والبلايا، وفي قضاء الحوائج وبلوغ المآرب، وللنجاة من كرب يوم القيامة وأهوالها، ولنيل شفاعة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ورضاء الرحمن فيها، ونحو ذلك من جميع الخيرات الدينية والدنيوية والأخروية، فالمقصود منه سرعة الإجابة ليس إلاّ، فإذا كان وسيلة لما ذكرناه من الخيرات كان حكمه كحكمها؛ لما ذكرناه من أن للوسائل حكم المقاصد، فإن كان ما يتوصل به مباحا فمباح، وإن كان مندوبا فمندوب.

وممن صرح بسنية التوسل واستحبابه:-

١) الإمام السبكي، فقد ذكرنا أنه قال: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين.

٢) العلامة الفقيه المحدث ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم) فقد قال فيه: يسن للزائر أن يتوسل به في حق نفسه ويستشفع به صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى[١] اهـ.

٣) والشهاب الخفاجي، فقد قال في (نسيم الرياض شرح الشفاء): يستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ ويتشفع به ويتضرع اهـ.

٤) والحافظ القسطلاني شارح البخاري، فقد قال في (المواهب اللدنية: ينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم[٢] اهـ.

٥) والشيخ عبد الجواد الدومي، ففي (التأمل في حقيقة التوسل) أن الشيخ عبد الجواد الدومي قال في كتابه (نفحات الدومي): أما التوسل إلى الله تعالى بجاه أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأوليائه الصالحين فليس شركا ولا حراما، ولا هو بدعة مستحدثة في الدين كما يدعيه المخالفون، **وإنما هو محبوب ومندوب إليه**. وما مخالفة المخالفين فيه وتنوّع مقالاتـــهم حوله -كتصريحهم تارة بحرمته وتكفير فاعله مطلقا سواء كان

---

١ الجوجر المنظم ص ٥١.

٢ المواهب وشرحه للزرقاني ج١٢ص٢١٩.

المتوسَّل به نبيا أو وليا، حيا أو ميتا، وكقولهم تارة أخرى بجوازه في النبي ومنعه في الولي، أو بجوازه في الأحياء دون الأموات- إلا من أظهر الأدلة على حيرة عقولهم وفساد تفكيرهم، وإلا فما وجه هذه التفرقة بين الولي والنبي والحي والميت هنا، ما دمنا نعتقد أن الفعل لله وحده من غير شريك وأنه عز وجل المتصرف في الكون بالمنع والإعطاء، وما الخلق من ملائكة وأنبياء وأولياء وغيرهم إلا وسائط وأسباب فقط يُجري الله تعالى الخير وضده على أيديهم من غير أن يكون لهم في ذلك إيجاد ولا تأثير كما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير[١]. وهل كان يتصور أحد أن الحي هو الذي كان يجلب الخير أو يدفع الضر بذاته للمتوسِّل به حتى إذا مات لم يمكنه ذلك فيكون التوسل به عبثا قبيحا، أو شركا صريحا، كلا والله[٢] اهـ.

التوسل من مسائل الفروع الفقهية

اعلم أن مسائل التوسل من مسائل الفروع التي تُبْحَث في كتب الفقه، فقد ذكره جميع الفقهاء على اختلاف مذاهبهم في باب صلاة الاستسقاء أو عند زيارة القبر النبوي الشريف، فقد قال الشيخ عيسى بن عبد الله الحميري في (التأمل في حقيقة التوسل): يعتقد بعض الناس أن التوسل من مباحث العقيدة، ويترتب على القول به تكفير أو تبديع أو تفسيق وتضليل، ولو نظرنا إلى هذه القضية بعين الإنصاف لعلمنا

---

[١] رواه ابن ماجه في سننه واللفظ له، ورواه الطبراني في الكبير، وأبو يعلى في مسنده وغيرهم.

[٢] التأمل في حقيقة التوسل للشيخ عيسى بن عبد الله الحميري ص٥٣-٥٤.

أن التوسل ليس مبحثا من مباحث الاعتقاد، وأمره يدور بين الجواز والندب، وما كان أمره كذلك فهو من موضوعات الفقه، وإقحامُ مباحث الفقه في العقيدة خطأ جسيم وقلب للحقائق، ولم نر أحدا من علماء أصول الدين يذكر التوسل في فن التوحيد إطلاقا، ومن خالف ذلك فليذكر لنا كتابا واحدا أتى بذكر التوسل في مسائل الاعتقاد، ولن يجد ذلك إلا في رسائل بعض المتاجرين بالخلاف من المعاصرين، وهؤلاء مطالبون بالرجوع إلى كتب مذاهب الأئمة الأربعة ليروا أنــــهم قد جعلوا مسألة من مسائل الفروع ضمن مسائل الاعتقاد، فأخطئوا خطأ فاحشا اهـــ.

وقال الشيخ محمود سعيد ممدوح في (رفع المناره لتخريج أحاديث التوسل والزيارة): الخلاف في مسألة التوسل هو خلاف في الفروع، ومثله لا يصح أن يشنع به أخ على أخيه أو يعيبه به، فالخلاف في الفروع لا يحتمل هذا الإفراط اهـــ.

واعلم أن أدلة الفقه ظنية بخلاف العقائد فإنــــها قطعية، واختلافُ الأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية جائز لا يضر، بل هو رحمة للأمة كما ورد في الحديث[١]، لكن الاختلاف في العقائد خطير، فإن الخطأ فيها قد يوجب الوقوع في الشرك، ففي طبقات الحنابلة لأبي يعلى أن الإمام الشافعي قال: لأن أتكلم في العلم فأخطىء فيقال لي: أخطأت خير من أن أتكلم في الكلام فأخطىء فيقال لي: كفرت.

---

[١] يعني حديث: اختلاف أمتي رحمة. قال السخاوي في المقاصد الحسنة: رواه البيهقي في المدخل.

فمن العجيب إلحاق التوسل بباب العقائد وعدُّه من مسائل فن التوحيد!! وهكذا فعلوا في النذر فنقلوه من الفقه إلى العقائد. ويظهر أنـــهم إنما فعلوا ذلك للتّمكُّن من نسبة الكفر والشرك إلى كل من يخالف هواهم ممن يتوسل بالأنبياء والصالحين أو يُنذر لهم فيستبيحوا بذالك دماءهم وأموالهم.

أدلة التوسل ونحوه

اعلم أن التوسل والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة والتشفع والاستنصار والاستمداد والاستفتاح والتوجه والالتجاء واللِّيَاذ ألفاظ متقاربة، يراد منها في هذا الباب معنى واحد.

وقد ألف العلماء قديما وحديثا في جواز التوسل ونحوه واستحسان ذلك مصنفات كثيرة مختصرة ومطولة، ومن أحسن ما ألف في هذا العصر (التأمل في حقيقة التوسل) للدكتور عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري[١] حفظه الله وشكر سعيه[٢]. وفي تآليفهم الكفاية لمن شاء الله له الهداية، فلهذا لا أطيل في ذكر الأدلة، وإنما أذكر إن شاء الله قليلا منها. والله الموفق.

---

١ وقال في خطبة هذا الكتاب بما حاصله: لما استخرت الله تعالى لتأليف هذا الكتاب منّ عليّ برؤيا مباركة في المدنية المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم–فهمت من تعبيرها الإذن بالشروع في تحبير هذا المؤلف.

٢ فإنه تكلم فيه بإسهاب عن أدلة مشروعية التوسل ونحوه، وذكر فيه من الآيات القرآنية الدالة على جواز التوسل تسعة عشر آية، وخمسة عشر من الأحاديث والآثار الدالة على جواز التوسل ونحوه.

الحديث الأول: توسل أبينا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

قال الإمام السبكي في (شفاء السقام) والعلامة ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم): إن الحاكم أبا عبد الله بن البَيِّع روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما اقترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وفي نسخة: لما اعترف آدم عليه السلام، ورواه البيهقي أيضا في دلائل النبوة، وذكره الطبراني وزاد فيه: وهو آخر الأنبياء من ذريتك. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [1].

وفي كتاب (رفع المنارة): أخرج الحافظ أبو الحسن بن بشران عن ميسرة قال: قلت: يارسول الله، متى كنت نبيا؟ قال: لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، وخلق العرش، كتب على ساق العرش: محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء، فكتب اسمي على الأبواب،

[1] شفاء السقام ص١٦١-١٦٢، والجوهر المنظم ص٦١، ومجمع الزوائد رقم الحديث: ١٣٩١٧. وفي تعليق على كتاب الموسوعة اليوسفية: أن الإمام تقي الدين السبكي حقق في كتابه شفاء السقام أن هذا الحديث لا ينـــزل عن درجة الحسن اهـــ.

والأوراق، والقباب، والخيام، وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش، فرأى اسمي، فأخبره الله أنه سيد ولدك، فلما غرَّهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه.

وأخرجه ابن الجوزي في (الوفا بفضائل المصطفى) من طريق ابن بشران، نقله ابن تيمية في الفتاوي مستشهدا به[١].

وذكر شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله الصديق الغماري-نوّر الله مرقده- في (الرد المحكم المتين)، وقال: إسناد هذا الحديث قوي، وهو أقوى شاهد وقفت عليه. وكذا قال الحافظ ابن حجر[٢].

قال محمود سعيد ممدوح: إسناده مسلسل بالثقات ما خلا راو واحد صدوق.

فالصواب أن هذا الإسناد من شرط الحسن على الأقل، ويصححه من يدخل الحسن في الصحيح من الحفاظ كابن حبان والحاكم[٣] اهـ.

وقال السيوطي في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) أخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه، واشتد ندمه. فجاءه جبريل فقال: يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذي يتوب الله عليك منه؟ قال: بلى يا جبريل، قال: قم في مقامك الذي تناجي فيه ربّك فمجده وامدحه، فليس شيء أحب إلى الله من المدح، قال: فأقول ماذا يا جبريل؟

---

١ الوفا بفضائل المصطفى ج٢ص١٥٠.

٢ الرد المحكم المتين ص١٣٨-١٣٩.

٣ رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ص٢٤٧-٢٤٩.

قال: فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير. ثم تبوء بخطيئتك فتقول: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت. رب إني ظلمت نفسي وعملت السوء فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم إني أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي. قال: ففعل آدم، فقال الله: يا آدم من علمك هذا؟ فقال: يا رب إنك لما نفخت فيّ الروح فقمت بشراً سوياً أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيت على ساق عرشك مكتوباً: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله. فلما لم أر إثر اسمك اسم ملك مقرب، ولا نبي مرسل غير اسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك. قال: صدقت. وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك، قال: فحمد آدم ربه وشكره وانصرف بأعظم سرور لم ينصرف به عبد من عند ربه. وكان لباس آدم النور قال الله {**ينـــزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما**} ثياب النور قال: فجاءته الملائكة أفواجاً تـــهنئه يقولون: لتهنك توبة الله يا أبا محمد اهـــ.

الحديث الثاني: توسل نبي الله داود عليه السلام

قال أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي في (فتوح الشام) ما حاصله: لما دخل عياض بن غنم رضي الله عنه إلى آمد وجمع أهلها في الميدان وتكلم المشايخ بما تكلموا به قام من وسط قومه رجل اسمه مليا بن حنيتا وعرف المسلمين بمكانه وأنه مقدم على بني إسرائيل وأنه من ذرية داود. فقال: أنتم أصحاب نبي الرحمة، وإن الله

خلق الرحمة وأسكنها في قلوبكم، وإن الله فضلكم على سائر الأمم، وقد أنزل في صحف إبراهيم وموسى يقول: إني أبعث في آخر الزمان نبياً أمياً، وأجعل أمته أفضل الأمم، وأسكن الرحمة في قلوبـــهم، وبـــهم أباهي ملائكتي، وأبعثهم غراً محجلين من آثار الوضوء، وإن داود عليه السلام لما أصاب الذنب ونفر عنه الوحش خرج إلى فلاة من الأرض وقال: إلهي بحق النبي العربي الذي تبعثه في آخر الزمان إلا غفرت لي فأجاب دعوته انتهى ملخصا والعهدة عليه. واختلاف أقوال العلماء في الواقدي معروف مشهور .

الحديث الثالث: توسل سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

وفي (الرد المحكم المتين) أن الطبراني روى في معجميه الكبير والأوسط بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت الأسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل فيه رسول صلى الله

عليه وسلم فاضطجع فيه وقال: الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعا، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنها اهـــ. ورواه أيضا أبو نعيم في الحلية، والهيثمي في (مجمع الزوائد).

وقال الشيخ محمود سعيد ممدوح في (رفع المنارة) بعد كلام طويل في تخريج هذا الحديث: إن هذا الحديث حسن الإسناد [١]اهـــ.

وقال الشيخ موسى محمد علي في كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة): في هذا الحديث يعني حديث فاطمة بنت أسد توسل سيد الخلق صلى الله عليه وسلم إلى ربه بذاته التي هي أرفع الذوات قدرا، وبإخوانه من النبيين وجُلُّهم موتى عليهم الصلاة والسلام[٢].

قلت: وفي هذا الحديث وحده مقنع للمؤمن المنصف دون المعاند المتعسف.

وفي (رفع المنارة): روى ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه

---

١ رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة ص١٥٥.

٢ حقيقة التوسل والوسيلة للشيخ موسى محمد علي ص٢٨.

بوجهه ويستغفر له سبعون ألف ملك. ورواه أحمد في (المسند) وابن خزيمة في (التوحيد) والطبراني في (الدعاء) وابن السني في (عمل اليوم والليلة) والبيهقي في (الدعوات الكبير) وابن أبي شيبة في (المصنف) وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم: الحافظ الدمياطي في (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في (الترغيب والترهيب) والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والحافظ ابن حجر العسقلاني في (أمالي الأذكار)، وقال الحافظ البوصيري في (مصباح الزجاجة): رواه ابن خزيمة في صحيحه فهو صحيح عنده.

فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله صححوا أو حسنوا الحديث، وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والإذعان له[1].

وأخرج ابن السني بإسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا، فإني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك، أسألك أن تعيذني من النار، وأن تدخلني الجنة.

---

[1] رفع المناره ص١٣٣- ١٣٥.

ومحل الاستدلال قوله: بحق السائلين عليك، فهذا توسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يقولوه، ولم يزل السلف من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر أحد في الدعاء به.

وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: يستفتح بصعاليك المهاجرين.

وقال ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح): قال ابن الملك: بأن يقول اللهم انصرنا على الأعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين، وفيه تعظيم الفقراء والرغبة إلى دعائهم والتبرك بوجوههم. أقول: ولعل وجه التقييد بالمهاجرين لأنهم فقراء غرباء مظلومون مجتهدون مجاهدون فيرجى تأثير دعائهم أكثر من عوام المؤمنين وأغنيائهم اهـ.

وفي رواية أخرى عن أمية بن خالد أيضا، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين[1]. وأورده السيوطي في (الجامع الصغير)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة والطبراني في (الكبير).

وفي (رياض الصالحين) عن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم. رواه

---

[1] قال الهيمثي في مجمع الزوائد ما نصه: عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المسلمين. وفي رواية يستنصر بصعاليك المسلمين. رواه الطبراني ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح. وقال في الرد المحكم المتين: قال الحافظ المنذري: رواة حديث يستفتح بصعاليك المسلمين: رواة الصحيح وهو مرسل اهـ.

أبوداود بإسناد جيد اهـــ. وقوله ابغوني: أي اطلبو لي صعاليك المسلمين أستعين بِهم على أعدائكم.

فإذا ثبت بما ذكرناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توسل بحق ذاته الشريفة وبالأنبياء من قبله، وبحق مشيه ومخرجه إلى الصلاة، وأنه استنصر بصعاليك المسلمين والمهاجرين، انحلت بذلك عقدة الخلاف والنِزاع في جواز التوسل ومنعه؛ إذ لا يعتقد مؤمن بالله واليوم الآخر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ في ذلك التوسل؛ لإجماع الأمة كلها على عصمته ونزاهته عن ارتكاب المحظورات، بل قال بعض أهل العلم: إن أعماله كلها إما واجبة وإما مندوبة، وليس فيها مباح لا ثواب فيه ولا مكروه أصلا فضلا عن محظور، فهل بعد ثبوت توسل رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنصاره يبقى في قلب مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم شك على جواز التوسل واستحبابه ونفعه عند الشدائد والكرب؟.

فينبغي للمسلم المخلص أن يتحاشى عن استبشاع ما فعله الحبيب الأعظم والسيد الأفخم صلى الله عليه وسلم، وينـــزجر عن معارضته ومخالفة نَهجه، وتكفير من اقتدى به واتبعه في توسله واستنصاره، {**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**}، فما أساء من اقتدى به واتبعه، فإنه اسوة من كان يرجو الله واليوم الآخر وقدوته كما قال تعالى: {**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**} ولا يخفى أن النجاة في طاعته صلى الله عليه وسلم، وأن من أطاعه فقد أطاع الله، قال الله تعالى: {**من يطع**

الرسول فقد أطاع الله} فأيّ ملام على من توسل كما توسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيّ ذنب ارتكب من اقتدى به في ذلك؟، فنصيحتي إلى منكر التوسل أن يتحرر عن التعصب الطائفي، والطيش الحماسي، والتقليد البديهي بدون إمعان النظر في الأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، وأن يختار لنفسه ما ينفعه لدى وقوفه أمام ربه، وأن يبحث عن الحق وأهله بدون محاباة أحد وإرضائه أيّا كانت شخصيته ومنـــزلته، فإنّ من عرف عين الحق عرف أهله، ومن لم يبحث عن الحق وانقاد لكل من يدعي العلم والمعرفة فقد يغترُّ ويقع -وهو لا يدري- في شبكة أهل البدع والضلال، وحظيرة الشقاوة والبوار.

الحديث الرابع: عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي، فيجلي لي عن بصري، اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر، رواه الترمذي في آخر السنن في أبواب الدعوات وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي (محق التقول في مسألة التوسل) أن هذا الحديث أخرجه البخاري في تاريخه الكبير، وابن ماجه في صلاة الحاجة من سننه، وفيه نص على صحة الحديث، ورواه

النسائي في (عمل اليوم والليلة) وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) والبيهقي في (دلائل النبوة) وغيرهم على خلاف يسير في غير موضع الاستشهاد، وصححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظا، فمنهم سوى المتأخرين: الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والطبراني وأبو نعيم، والبيهقي والمنذري اهـــ.

قلت: قال في (الرد المحكم المتين): وممن وافق على تصحيح هذا الحديث الإمام النووي رحمه الله في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب (الأذكار)، والحافظ العسقلاني في (أمالي الأذكار) والحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى) وابن تيمية في غير موضع من كتبه، والحافظ الهيثمي في باب صلاة الحاجة من (مجمع الزوائد)[1] اهـــ.

وقال السبكي في (شفاء السقام): روى الطبراني في (المعجم الكبير) بسنده عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه إليك إلى ربك فيقضي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على

---

[1] الرد المحكم المتين ص ١٥٠.

عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، وقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان ابن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله عليه وسلم وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أو تصبر؟ فقال يا رسول الله: إنه ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بـــهذه الدعوات، فقال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرر قط[1] اهــ

قلت: وحنيف والد عثمان بضم الحاء كزبير كما في (القاموس).

الاستنصار والاستغاثة والاستعانة

اعلم أن النصر الحقيقي لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: {**وما النصر إلا من عند الله**} لكن النصر المجازي يوصف بغير الله تعالى، فالاستنصار ونحوه من الاستعانة والاستغاثة إذا أسندت إلى الله تعالى فهي حقيقة؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالإيجاد والنصر والعون والإغاثة.

وإذا أسندت إلى غيره تعالى فهي مجاز وذلك جائز فقد قال تعالى: {**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**} وقال تعالى: {**ياءيها الذين آمنوا كونوا**

---

[1] شفاء السقام ص ١٦٧.

أنصارا لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله} وقال تعالى: {**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**}وقال تعالى: {**فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه**} وكذلك الإغاثة قال الله تعالى: {**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**}.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام: أنـــها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتا ولا ترى شخصا فقالت: "أغث إن كان عندك غوث" اهـــ.

وقال الشيخ موسى محمد علي في (حقيقة التوسل والوسيلة): فلو كانت الاستغاثة بغير الله غير جائزة لما طلبت الغوث، ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأصحابه، ولما نقله الصحابة الأجلاء من بعده، ولما ذكره المحدثون أيضا.

وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو سببا وكسبا أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا، وقد نُقل أن في حديث البخاري رحمه الله في الشفاعة يوم القيامة "فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم[1].

---

[1] ذكر هذا الحديث البخاري في باب من سأل الناس تكثرا من كتاب الزكاة، ونصه: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم وقال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم. وزاد عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني ابن أبي جعفر

والمراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والتوسل بـــهم هو أن ذلك أسباب ووسائل لنيل المقصود، والله تعالى هو الفاعل كرامة لهم، لا أنـــهم هم الفاعلون كما هو المعتَقَد الحق في سائر الأفعال، فإن السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، والسكين سبب عادي خَلَقَ اللهُ تعالى القطع عند إمراره بالشيء[1]، فليس للطبيعة تأثير، ولا للعلة تأثير في معلولاتـــها عند أهل

فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم.

[1] أي وكذلك النار فلا تحرق بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها، بل الله يخلق القطع والإحراق عندهما، فالمسببات إنما توجد عند أسبابـــها لا بـــها، فالله تعالى يخلق العبد ويخلق أعماله وأفعاله كلها، فقد قال تعالى: {**والله خلقكم وما تعملون**} وقال تعالى: {**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**} وقال تعالى: {**الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل**} هذا هو الإعتقاد الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، قال العلامة اللقاني في جوهرة التوحيد:

فخالق لعبده وما عمل ... موفق لمن أراد أن يصل
وخاذل لمن أراد بعده ... ومنجز لمن أراد وعده

فالحاصل أنه لا تأثير للأسباب العادية في مسبباتـــها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام في الشبع ولا للسكين في القطع وهكذا، فمن اعتقد أن شيأ منها يؤثر بنفسه فلا نزاع في كفره، ومن اعتقد أن شيأ منها يؤثر بقوة أودعها الله فيه فهو فاسق مبتدع جاهل لاستلزام اعتقاده ذلك احتياج الخالق جل جلاله إلى واسطة في الإيجاد والإعدام، وفي كفره قولان، والراجح عدم كفره كمن اعتقد أن العبد يخلق أفعال نفسه الإختيارية بقدرة خلقها الله فيه، ومن اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها وإنما المؤثر هو الله تعالى لكن بينها وبين مسبباتـــها تلازم عقلي فمتى وجدت النار مثلا وجد الحرق فهو جاهل بحقيقة الحكم، وربما جره ذلك إلى الكفر؛ لأنه قد يؤديه إلى إنكار الأمور الخارقة للعادة كمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكبعث الأجسام، فلا ينجو إلا من اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها وأنه لا تلازم بينها وبين مسبباتـــها بأن اعتقد

الحق[1]، وقال السبكي في (شفاء السقام) والقسطلاني في (المواهب اللدنية) والسمهودي في (تاريخ المدينة) وابن حجر رحمهم الله: إن الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الأنبياء والمرسلين والصالحين إنما هي بمعنى التوسل إلى الله بجاهه، فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بين المستغيث والمستغاث به الحقيقي، فالغوث منه تعالى إنما يكون خلقا وإيجادا،

صحة التخلف فيمكن أن يوجد السبب ولا يوجد المسبب كما في قصة الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين ألقي في النار، والمسألة مبسوطة في كتب التوحيد فلا نطيل في بسطها هنا. والله الموفق.

[1] الطبع هو أن ينشئ عن الشيء شيء آخر بطبعه وحقيقته من غير أن يكون له إرادة واختيار فيه مع التوقف على وجود شرط وانتفاء مانع، ومن مثال ذلك عند القائلين به قبحهم الله تعالى النار، فإنـــها تؤثر عندهم في الحرق بطبعها وحقيقتها بمعنى أنـــها توجده بنفسها لكن عند وجود شرط وهو المماسة وانتفاء المانع وهو البلولة. والتعليل هو أن ينشأ عن الشيء شيء آخر من غير أن يكون له إرادة واختيار فيه بلا توقف على وجود شرط وانتفاء مانع، ومن مثال ذلك عند القائلين به قبحهم الله تعالى حركة الأصبع مع حركة الخاتم، فإن الأولى علة عندهم للثانية بمعنى أنـــها مؤثرة فيها تأثير العلة في المعلول، فيقولون: الله أوجد حركة الأصبع وهي أوجدت حركة الخاتم ويسمون ذات الباري سبحانه وتعالى علة العلل. فالفرق بين التعليل والطبع أن الأول لا يتوقف على وجود شرط وانتفاء مانع بخلاف الثاني اهـــ.

وقال العلامة الدرديري في الخريدة البهية:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة   فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعـــة   فذاك بدعي فلا تلتفـــت

فافهم ذلك وعض عليه بالنواجذ، فإنه مهم وأي مهم، وقد أخطأ في هذا خلائق، فالله يهدينا إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

والغوث من النبي عليه الصلاة والسلام إنما يكون تسببا وكسبا. انتهى بزيادة يسيرة[١].

وقال الشيخ عيسى بن عبد الله الحميري في (التأمل في حقيقة التوسل) ما حاصله: ولا يعارَضُ بجواز الاستغاثة بخبر أبي بكر: قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله عز وجل[٢]. لأن في الخبر ابن لهيعة والكلام فيه مشهور، وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى: {**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**} أي أنا وإن استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله، وعلى حد قوله صلى الله عليه وسلم: "لست أنا حملتكم ولكن الله حملكم" وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا أي من بيان حقيقة الأمر، ويجيء القرآن بإضافة الفعل لمكتسبه، كأن يقول صلى الله عليه وسلم: لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى: {**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**} اهـ.

ومن المجاز أيضا ما سنذكره إن شاء الله من استعاذة بعض الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبتهم إليه عليه الصلاة والسلام، فإن الاستعاذة والتوبة إلى الله حقيقية، وإلى الرسول مجازية.

---

١ حقيقة التوسل والوسيلة للشيخ موسى محمد علي ص٤٧-٤٨.

٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة.

ملاحظة

اعلم أنه ورد الاستنصار بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأبدال، واستنصر خالد ابن الوليد بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعان التابعي الجليل محمد بن المنكدر بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولجأ الحافظ ابن الجوزي إلى قبور الصالحين وتوسل بـــها، واستغاث الحافظ السيوطي برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأرباب الأحوال، واستغاث الحافظ القسطلاني مؤلف إرشاد الساري شرح صحيح البخاري به صلى الله عليه وسلم، ويأتي ذلك كله إن شاء الله في مواضع متفرقة، وقد عليه عمل الناس سلفا وخلفا.

فاتضح مما ذكرناه أن الاستنصار ونحوَه بغير الله جل جلاله لا يقدح في توحيد المستغيثين والمتوسلين، ولا يخدش في إيمانـــهم الراسخ، ويقينهم الجازم بتوحيد الله جل جلاله، بل هو مشروع مطلوب شرعا.

فمن العجب العجيب والأمر الغريب إنكار الاستغاثة والاستنصار ونحوهما واعتقادُ أن ذلك شرك، وأن المستغيثين مشركون، ومقتضى هذا أن كل مستغيث ومستنصر برسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين والحفاظ المذكورين ومن حذا حذوهم مشرك بالله تعالى، فعياذا بالله من مثل هذا الاعتقاد الشنيع، والتهور القبيح، سبحانك هذا بُهتان عظيم.

الحديث الخامس: روى ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا، فإن لله عز وجل في الأرض حاصرا سيحبسه.

قال النووي في الأذكار: حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليهم في الحال، وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بَهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام[١].

وفي رواية: إذا أضلّ أحدكم شيئا أو أراد أحدكم غوثا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: **يا عباد الله أغيثوني يا عباد الله أغيثوني** فإن لله عبادا لا نراهم.

وفي رواية: إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة **فليناد يا عباد الله أعينوني**. وفي رواية: أغيثوا[٢].

الحديث السادس: الاستنصار بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومما يصرح بجواز التوسل والاستنصار بذوات الصالحين حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشيخان، ولفظه عند مسلم: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث، فيقولون:

---

١ الأذكار للإمام النووي باب ما يقول إذا انفلتت دابته من كتاب أذكار المسافر.

٢ الموسوعة اليوسفية ص٩٧.

انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثاني فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيفتح لهم به – إلى آخر الحديث.

وفي (رفع المنارة): روى أبو يعلى الموصلي في مسنده[١] عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم أحد صحب محمدا فتستنصرون به ؟ فتنصروا، ثم يقال: هل فيكم من صحب محمدا، فيقال: لا، فمن صحب أصحابه؟ فيقال: لا، فيقال: من رأى من صحب أصحابه، فلوا سمعوا به من وراء البحر لأتوه. قال في رفع المنارة: إسناده صحيح [٢].

وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) رواه أبو يعلى من طريقين، ورجالهما رجال الصحيح اهـ. وفي هذا الحديث الصحيح استحباب التوسل والاستنصار بذوات الصالحين.

الحديث السابع: الاستنصار بالأبدال والاستسقاء بــهم

قال الحافظ السيوطي في (الحاوي للفتاوي): قال الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده): حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال: ذُكِرَ أهل الشام عند علي ابن أبي طالب وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، سمعت رسول

---

[١] ج٤ ص١٣٢.

[٢] رفع المنازرة ص١٨٧-١٨٩.

الله صلى الله عليه وسلم يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يُسقَى بـــهم الغيثُ وينتصر بـــهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بـــهم العذاب. ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة. ورمز له السيوطي في (الجامع الصغير) علامة الحسن.

وروى ابن عساكر في (تاريخه) بسنده عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذُكِر أهلُ الشام عند علي بن أبي طالب، فقالوا: يا أمير المؤمنين العنهم، فقال: لا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الأبدال بالشام يكونون، وهم أربعون رجلا بِهم تُسقَون الغيث وبِهم تنتصرون على أعدائكم ويُصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق. قال ابن عساكر هذا منقطع بين شريح وعلي فإنه لم يلقه [1] اهـــ.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: {**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**}: اختلف العلماء في الناس المدفوع بـــهم الفساد فقيل: هم الأبدال، وهم أربعون رجلا كلما مات واحد بدّله الله آخر، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم، وروي عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقي بـــهم الغيث وينصر بـــهم على الأعداء، ويصرف بـــهم عن أهل الأرض البلاء، ذكره الترمذي الحكيم في (نوادر الأصول). وخرّج أيضا عن أبي الدرداء قال: إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة أبدل الله

[1] الحاوي للفتاوي ج٢ص ٤٥٦.

مكانـــهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم: الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة، فهم خلفاء الأنبياء، قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن يدفع الله بـــهم المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس، وبـــهم يمطرون ويرزقون، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه.

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**}: روى ابن مردويه بسنده عن ثوبان حديثا مرفوعا قال: لا يزال فيكم سبعة بـــهم تنصرون وبـــهم تمطرون، وبـــهم ترزقون حتى يأتي أمر الله.

وروى ابن مردويه أيضا بسنده عن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأبدال في أمتي ثلاثون، بـــهم ترزقون، وبـــهم تمطرون، وبـــهم تنصرون. قال قتادة: إني لأرجو أن يكون الحسن منهم اهـــ يعني الحسن البصري.

وفي (الجامع الصغير): روى أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبـــهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا. ورمز له علامة الصحة.

وقال المناوي في (فيض القدير): قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة، وضعفه غيرهما. وقال السيوطي في

(الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة): إنه حسن، وله شواهد كثيرة بينتها في (التعقبات على الموضوعات) اهـ.

وفي (كشف الخفا) للعجلوني: قال الزركشي: إنه حسن[١].

وفي (الجامع الصغير) أيضا: روى الطبراني عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأبدال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون. ورمز له علامة الصحة أيضا.

وروى الطبراني أيضا عن عوف بن مالك: الأبدال في أهل الشام، وبهم ينصرون، وبهم يرزقون. ورمز له علامة الحسن.

وروى الخلال في (كرامات الأولياء) والديلمي في (مسند الفردوس) عن أنس: الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة اهـ.

وفي (الفتاوي الحديثية) روى ابن أبي الدنيا مرسلا، علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئا أبدا. وروى البيهقي: إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بأعمالهم، ولكن إنما دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدر ورحمة لجميع المسلمين. وروى ابن عدي في (كامله) الأبدال أربعون، اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر

---

[١] كشف الخفا ج١ ص ٢٥.

في العراق، كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة[1].

وروى أبو نعيم في (الحلية): عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبـــهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بـــهم عن أهل الأرض، يقال لهم: الأبدال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنـــهم لم يدركوها بصلاة ولا بصيام ولا بصدقة، قالوا يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين. حديث غريب [2]اهـــ.

وقال المناوي في (فيض القدير شرح الجامع الصغير): طعن ابن الجوزي أحاديث الأبدال واحدا واحدا، وتعقبه المصنف "أي السيوطي" بأن خبر الأبدال صحيح، وإن شئت قلت: متواتر. وقال الحافظ ابن حجر في فتاويه: وردت في الأبدال عدة أخبار، منها ما يصح وما لا. ثم قال المناوي: وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها لكن لا ينكر تقوّي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه إلا جاهل بالصناعة الحديثية أو معاند متعصب اهـــ.

وقال العجلوني في (كشف الخفا): أقول: يتقوى حديث الأبدال بتعدد طرقه الكثيرة اهـــ. وألف في الأبدال السخاوي كتابا سماه (نظم اللآل). وألف الحافظ السيوطي جزءا بنحو ثمانية عشر صفحة فيهم وفي غيرهم، وسماه (الخبر الدال على وجود

---

[1] الحاوي للفتاوي ص٢٧٨.

[2] حلية الأولياء ج٤ص١٧٣.

القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) فمما قال فيه: قد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا وأقطابا. وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك، فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ولا يعوّل على إنكار أهل العناد. ثم قال: ورد ذلك مرفوعا وموقوفا من حديث عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأنس وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعوف بن مالك ومعاذ ابن جبل وواثلة بن الأسقع وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي الدرداء وأم سلمة رضي الله عنهم. ومن مرسل الحسن وعطاء وبكر بن خنيس، ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم مالا يحصى اهـــ.

وقال العلامة المحدث عبد الله الصديق الغماري في (الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام) ما نصه: وفي المستدرك أن عليا قال: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال، وسبوا ظلمتهم، صححه الحاكم وسلمه الذهبي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبِهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر، قال سعيد: وسمعت قتادة يقول: لسنا نشك أن الحسن البصري منهم، رواه الطبراني في الأوسط قال الحافظ الهيثمي إسناده حسن[1].

[1] الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام للعالم المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري ص٤١-٤٢.

وقال العلامة المحدث الغماري أيضا في (الإعلام) أن لفظ الأبدال اشتهر في عهد السلف وَوُصِف به جماعة من الأئمة، قال الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) بعد أن تكلم على بعض طرق حديث الأبدال: ومما يتقوي به حديث الأبدال ويدل لانتشاره بين الأئمة قول إمامنا الشافعي في بعضهم: كنا نعده من الأبدال، وقول البخاري في غيره: كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وَصَفَ غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال، وممن وُصِفَ بأنه من الأبدال الحسن البصري وحماد بن سلمة وأبوتوبة الحلبي شيخ أحمد بن حنبل والإمام الشافعي ومحمد بن واسع وحسان بن أبي سنان ومالك بن دينار ووكيع بن الجراح وخالد ابن معدان وغيرهم كثير تجد تراجمهم في كتب الرجال وطبقات الحفاظ، ومن راجع تذكرة الحفاظ للذهبي وتـــهذيب التهذيب لابن حجر، وجد فيها كثيرا من الحفاظ وصفوا بالبدلية[1] اهـــ

درجة حديث الأبدال

لقد ذكرنا أن السيوطى قال فى رواية أحمد فى مسنده عن على بن أبى طالب: إن رجال هذا السند رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بعلامة الحسن مرة، ومرة أخرى رمز له علامة الصحة، وقال فى (الدرر المنتثرة): إنه حسن ونقل عنه المناوى أن خبر الأبدال صحيح، وقال الحافظ

---

[1] الأعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام للعالم المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري ص٤٠-٤١.

العسقلاني: من خبر الأبدال ما يصح وما لا، وصححه الحاكم، وسلمه الذهبي.

ولا يخفي أن عدد الأبدال في الأحاديث المذكورة مختلفة، وتكلم في توجيه ذلك ابن حجر الهيتمي في (الفتاوي الحديثية) فارجع إليه إن شئت.

فثبت بما ذكرناه أن لله عبادا ينْزل المطر ببركتهم وبجاههم، وبِهم يرزق الخلق، وبِهم ينصر للمسلمين على أعدائهم، فتحقق بذلك الانتفاع ببركة الصالحين وجاههم عند الله تعالى وبطل ادعاء ما يخالف ذلك والله الموفق.

الحديث الثامن: في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم

عقد الحافظ ابن الجوزي بابا في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم فقال في كتاب (الوفا بأحوال المصطفى): الباب التاسع والثلاثون في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم. وعن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى[1] إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى فتقت فسمي عام الفتق اهـ.

قال في (الرد المحكم المتين): فهذه عائشة أمرتـــهم أن يلجأوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قبره، ويجعلوا من قبره كوى إلى السماء مبالغة في الاستشفاع به صلى الله

---

[1] قولها: الكوى جمع كوة، قال في (المصباح المنير): الكوة تفتح وتضم: الثقبة في الحائط، وجمع المفتوح كوات مثل حبة وحبات، وجمع المضموم كوى بالضم والقصر مثل مدية ومدى اهـ.

عليه وسلم، وبالضرورة كان بالمدينة إذ ذاك صحابة وتابعون، فلم ينقل عن أحد منهم أنه أنكر عليها ذلك. وروى هذا الحديث الدارمي في سننه، ورجال سنده لا بأس بـــهم، وسعيد بن زيد وإن كان متكلما فيه فهو من رجال مسلم، وقد وثقه ابن معين وغيره انتهى.

القائلون بجواز التوسل

اعلم أن القائلين بجواز التوسل ونحوه خلائق كثيرون، بل لم يختلف العلماء في مشروعيته وإنما الخلاف فيه حدث في أواخر القرن السابع، وقبله كان أهل العلم متفقين على الجواز، فمنهم من صرح ذلك في تآليفه، ومنهم من لم يتكلم عنه، فنذكر قليلا ممن صرحوا بجواز التوسل واستحسانه، فأقول:

منهم: سيدتنا عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها

لقد ذكرنا أنّ أهل المدينة شكوا إلى أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها قحطا شديدا، فقالت: انظروا قبر رسول صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى فتقت فسمي عام الفتق. فلا يخفى أن عائشة رضي الله عنها لم تأمرهم بذلك إلا وهي تعتقد بجوازه ومشروعيته، فهي إذن من القائلين بجواز التوسل.

ومنهم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة

روى القاضي عياض في (الشفاء) بسنده في فصل واعلم أن حرمته صلى الله عليه وسلم بعد موته لازم كما كان حال حياته: أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك بن أنس: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال تعالى: {**ولو أنــــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك**} الآية. قال الشهاب الخفاجي في شرحه (نسيم الرياض): وسند القاضي عياض على هذه القصة صحيح، والقصة فيها طول[1].

ومنهم الإمام أحمد

ففي كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) ما نصه: قال ابن تيمية في فتاويه[2]: قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه: إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه، ولكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به ولا يقسم على الله بمخلوق، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به فلذلك جوز التوسل به[3] اهـــ. ومثله في (الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين) [4].

---

[1] نسيم الرياض شرح الشفاء ج٣ ص ٣٩٨

[2] ج١ص١٤٠.

[3] مفاهيم يجب أن تصحح ص ٥٨.

[4] رد المحكم المتين ص٥٢.

وقد قال الشيخ محمود سعيد ممدوح في (رفع المنارة): قال الإمام أحمد بن حنبل في (منسك المروزي) بعد كلام ما نصه: وسل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه صلى الله عليه وسلم تقض من الله عز وجل [1]اهـــ. ثم قال ممدوح: هكذا ذكره ابن تيمية في (الرد على الأخنائي)[2].

ومنهم الحافظ البيهقي

فقد ذكر في (دلائل النبوة) استنصار خالد بن الوليد بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا يدل على أنه من القائلين بمشروعية التوسل واستحسانه.

ومنهم ابن قدامة الحنبلي

فقد ذكر مستحسنا في كتابه (المغني) قصة العتبي رحمه الله تعالى، ثم قال ابن قدامة: تأتي القبر فتولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه، وتقول: السلام عليك أيها النبي إلخ، وذكر في جملة ما يقول الزائر: قد أتيتك مستغفرا من ذنوبي، مستشفعا بك إلى ربي إلخ[3].

ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري

فقد ذكر ذلك في (شرح المنهج) في كتاب الحج وعبارته: ويتوسل به صلى الله عليه وسلم الزائر في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه. وكذلك تلاميذه الخطيب الشربيني

---

[1] رفع المناره ص ١٥

[2] رفع المناره ص ١٦٨.

[3] المغني لابن قدامة ج٣ص٥٥٦ -٥٥٨.

والرملي والهيتمي، ذكروا كلهم ذلك في شروحهم على (منهاج الطالبين) في كتاب الحج.

ومنهم شمس الدين محمد الرملي

ففي (فتاويه) المطبوع على هامش (الفتاوى الفقهية الكبرى) لابن حجر الهيتمي سئل -أي الرملي- عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين، فهل ذلك جائز أم لا؟ فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتِهم؛ لأن معجزة الأنبياء، وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتِهم، أما الأنبياء فلأنّهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أيضا أحياء شوهدوا نَهارا جهارا يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله تعالى بسببهم، والدليل على جوازها أنـــها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع، وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله على ما نطق به التنْزيل، وقصة أبي بكر وأضيافه كما في الصحيح، وجريان النيل بكتاب عمر، ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بـــ"نـــهاوند" حتى قال لأمير الجيش: يا سارية – الجبل- محذرا له من وراء الجبل لكمين العدو هناك، وسماع سارية كلامه، وبينهما مسافة شهرين، وشرب خالد

السم من غير التضرر به. وقد جرت خوارق على أيدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها. وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، لا فارق بينهما إلا التحدي[١].

ومنهم: الإمام المحلي المحقق

فقد ذكر ذلك (في شرحه على المنهاج) في كتاب الحج.

ومنهم: الإمام الحافظ السخاوي

قال في (القول البديع): من تشفع بجاهه صلى الله عليه وسلم وتوسل بالصلاة عليه بلغ مراده وأنجح قصده، ولو قيل: إن إجابة المتوسلين بجاهه عقب توسلهم يتضمن معجزات كثيرة بعدد توسلاتهم لكان أحسن. وحسبك قصة المهاجرة التي مات ولدها ثم أحياه الله عز وجل لها لما توسلت بجنابه الكريم [٢]اهـ.

وقال أيضا في (الإبتهاج بأذكار المسافر والحاج): وليكثر (أي المسافر) من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتوسل به في كل شدة [٣]اهـ

---

١ هامش الفتاوي الفقهية الكبرى ج٣ص٣٨٢.

٢ القول البديع ص٢٩.

٣ الابتهاج بأذكار المسافر والحاج للحافظ السخاوي ص٦٠.

ومنهم: الحافظ عماد الدين ابن كثير

فقد ذكر في (البداية والنهاية) نقلا عن الحاكم والبيهقي وابن عساكر قصة توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم[١]. وذكر أيضا في البداية والنهاية[٢] قصة الرجل الذي جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتوسل به، وقال: إسنادها صحيح، وذكر أيضا أن شعار المسلمين في قتال مسيلمة: يا محمداه كما في البداية والنهاية أيضا [٣] اهـ.

قلت: وذكر في تفسير قوله تعالى: {**ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله**} – الآية قصة العتبي مع الأعرابي، ونص عبارته: وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: {**ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**}، وقد جئتك مستغفرا لذنبي، متشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

---

[١] البداية والنهاية ج١ص ٨١.

[٢] البداية والنهاية ج٧ ص٩١.

[٣] البداية والنهاية ج٦ص٣٢٤.

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له اهـ[(١)].

وفي التأمل في حقيقة التوسل أن العلامة العز بن جماعة قال في هداية السالك[(٢)]: لله در هذا الأعرابي حيث استنبط من الآية الكريمة المجيء إلى زيارته بعد موته مستغفرا،

---

[١] وقصة العتبي هذه مشهورة ذكرها كثير من العلماء في كتبهم منهم: الإمام النووي في الأذكار، والإيضاح في مناسك الحج فقال: حكى أصحابنا عن العتبي مستحسنين له أنه قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: {**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**} وقد جئتك مستغفرا من ذنبي متشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته	على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا	مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف، فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له اهـ. وذكرها أيضا ابن قدامة الحنبلي في المغني، والحافظ القسطلاني في المواهب اللدنية، وابن حجر الهيتمي في الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم، والسمهودي في خلاصة الوفاء، وغيرهم.

قلت: وأبيات ذلك الأعرابي مكتوبة في جدار الحجرة الشريفة النبوية وقد رأيت أنا ذلك مرارا.

والعتبي بضم العين وسكون التاء، واسمه كما في المواهب اللدنية: محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب. وقال الهيتمي في الجوهر المنظم: عد بعضهم العتبي في مشايخ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى اهـ.

[٢] هداية السالك ج٣ص١٣٨٤.

فإن ذلك أظهر في قصد التعظيم وصدق الإيمان، واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت حاصل؛ لأنه الشفيع الأكبر يوم القيامة، والوسيلة العظمى في طلب الغفران ورفع الدرجات من بين سائر ولد آدم. والمجيء إليه صلى الله عليه وسلم بعد موته تجديد لتأكيد التوسل به إلى الله سبحانه وتعالى وقت الحاجة، وشتان بين هذا الأعرابي وبين من أضله الله فحرم السفر إلى زيارته صلى الله عليه وسلم، وهي من أعظم القربات. انتهى كلام الإمام العلامة العز بن جماعة تلميذ الإمام النووي اهـــ. وذكر بعض ما قاله العز بن جماعة أبو البقاء محمد ابن أحمد بن محمد بن الضياء المكي المتوفى:٨٥٤هـــ في (تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام).

وقال الحافظ ابن كثير أيضا في (البداية والنهاية) في وقائع سنة أربع وخمسين وستمائة: قال ابن الساعي: وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الأمعاني شيخ حرم المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يقول: إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة، وإشارة صحيحة مستقيمة دالة على اقتراب الساعة، فالسعيد من انتهز الفرصة قبل الفوت، وتدارك أمره بإصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت، وهذه النار في أرض ذات حجر، لا شجر فيها ولا نبت، وهي تأكل بعضها بعضا إن لم تجد ما تأكله، وهي تحرق الحجارة وتذيبها حتى تعود كالطين المبلول، ثم يضربه الهواء حتى يعود كخبث الحديد الذي يخرج من الكير، فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين، بمحمد وآله الطاهرين.

وفي البداية والنهاية: أيضا قال أبو شامة: ظهرت النار، لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنـــها العلقة، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي، وإلى الحجرة الشريفة، واستجار الناس بـــها، وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رءوسهم، وأقروا بذنوبـــهم، وابتهلوا إلى الله تعالى، واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام اهـــ

وارتضى الحافظ ابن كثير بما نقلنا عنه فإنه سكت عليه ولم يعقبه بالإنكار والاعتراض مع أنه تلميذ ابن تيمية، فهو مخالف لشيخه في إنكاره الاستغاثة والتوسل، والله الموفق.

ومنهم إمام القراء الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري الشافعي

فقد قال في كتابه (عدة الحصن الحصين) في فصل آداب الدعاء: ويسأل الله بأسمائه العظام الحسنى، ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين اهـــ.

ومنهم الإمام المفسر القرطبي المالكي

فقد ذكر مستحسنا في تفسير قوله تعالى: {**ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم**}الآية. قصةَ الأعرابي الذي قدم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبره صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه.

ومنهم الإمام الماوردي

فقد ذكر الإمام أقضى القضاة الماوردي قصة العتبي في كتابه (الأحكام السلطانية)[1].

ومنهم الشوكاني

قال الشوكاني رحمه الله: التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته، وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، والتوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقق توسل بأعمالهم الصالحة ومزياهم الفاضلة؛ إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله [2].

---

[1] ص ١٢٤.

[2] الموسوعة اليوسفية ص١١٩.

المتوسلون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

منهم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إناكنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا قال: فيسقون. وفي (فتح الباري): أخرج الزبير بن بكار عن ابن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث، وفيه فخطب الناس عمر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله[1] اهـ. وذكر ابن سعد وغيره أن عام الرمادة كان سنة ١٨.

ومنهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول رضي الله عنه

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): وقد روي أن خالدا سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب، فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك، فقال: إن فيها شيئا من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بِها [2]اهـ.

---

[1] فتح الباري ج٢ص٤٩٧.

[2] البداية والنهاية ج٧ص١١٣.

وفي (أسد الغابة) لابن الأثير كان في قلنسوة خالد بن الوليد التي يقاتل فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به وببركته، فلا يزال منصورا[1]اهـ

وقال النووي في (تَهذيب الأسماء واللغات): كان في قلنسوة خالد شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به ويتبرك به فلا يزال منصورا اهـ

ومنهم سعد بن أبي وقاص وخالد ابن الوليد أيضا رضي الله عنهما

فقد قال محب الدين أبو جعفر الطبري في (الرياض النضرة في مناقب العشرة): روي أن عمر بعث جنداً إلى مدائن كسرى وأمر عليهم سعد بن أبي وقاص وجعل قائد الجيش خالد بن الوليد، فلما بلغوا شط الدجلة ولم يجدوا سفينة تقدم سعد وخالد فقالا: يا بحر إنك تجري بأمر الله فبحرمة محمد صلى الله عليه وسلم وبعدل عمر خليفة رسول الله إلا خليتنا والعبور، فعبر الجيش بخيله وجماله إلى المدائن ولم تبتل حوافرها اهـ. وذكر هذه القصة أيضا الشيخ عيسى بن عبد الله الحمير في (التأمل في حقيقة التوسل)[2] نقلا عن (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) للمحدث شاه ولي الله الدهلوي.

---

[1] أسد الغابة ج٢ص٩٥.

[2] التأمل في حقيقة التوسل ص٣١٩.

ومنهم بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه

روى الإمام السبكي في (شفاء السقام) بسنده عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنّهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله في المنام فقال: ائت عمر فاقرأه السلام وأخبره أنّهم مسقون، وقل له: عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه اهـ وهذا الرجل هو بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه.

ومنهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

وفي و(فيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان: حكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال: لقد رأيت عجبا، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم: ليقم رجل منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يعطي من ساعته، قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود في الهجرة، فقام وأخذ بالركن اليماني، ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه الصلاة والسلام أن لا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة، وجاء حتى جلس[1] اهـ.

---

[1] وفيات الأعيان ج٣ص٢٩.

ومنهم نابغة الجعدي الصحابي رضي الله عنه

ففي (الإستيعاب) لابن عبد البر: أن نابغة الجعدي قال في آخر أبيات له:

فيا قبر النبي وصاحبيه ألا يا غوثنا لو تسمعونا

ألا صلى إلهكم عليكم ولا صلى على الأمراء فينا[1]

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن إبي إسحاق القرشي قال: كان عندنا رجل بالمدينة إذا رأى منكرا لا يمنكه أن يغيره أتى القبر فقال:

أيا قبر النبي وصاحبيه ألا يا غوثنا لو تعلمونا

انتهى باختصار.

---

[1] ونص ما في الاستيعاب ذكر الهيثم بن عدي قال: رعت بنو عامر بالبصرة في الزروع فبعث أبو موسى الأشعري في طلبهم فتصارخوا يا آل عامر! فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة له فأتى به أبو موسى فقال له: ما أخرجك؟ قال: سمعت داعية قومي قال فضربه به أسواطاً. فقال النابغة في ذلك:

رأيت البكر بكر بني ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا

فإن تك لابن عفان أميناً فلم يبعث بك البر الأمينا

فيا قبر النبي وصاحبيه ألا يا غوثنا لو تسمعونا

ألا صلى إلهكم عليكم ولا صلى على الأمراء فينا

قال في لسان العرب: البكر بالفتح الفتي من الإبل بمنزلة الغلام من الناس والأنثى بكرة اهـ. وقال أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله البغدادي المتوفى: ٢٢٤ في كتابه الأمثال: قال الأصمعي: من أمثالهم في الشؤم قولهم: كانت عليهم كراغية البكر. يعني بكر ثمود حين رماه صاحبهم، فرغا عند الرمية، فأنزل الله بهم سخطه عند قتل الناقة وبكرها، قال النابغة الجعدي لرجل من الأشعرين: رأيت البكر بكر بني ثمود ... وأنت أراك بكر الأشعرينا.

المستعيذون برسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم

منهم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة قالت: بعثت صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام قد صنعته له وهو عندي، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى استقلني أَفْكَلٌ[1]، فضربت القصعة، فرميت بـــها. قالت: فنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفت الغضب في وجهه، فقلت: **أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم**. قالت: قال: أولى[2]. قالت: قلت: وما كفارته يا رسول الله؟ قال: طعام كطعامها، وإناء كإنائها اهـــ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد باختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال: رواه أبوداود وغيره باختصار ورواه أحمد ورجاله ثقات[3]. وفي رواية: حتى استقبلني بدل استقلني.

---

[1] في تاج العروس: الأفكل كأحمد: الرعدة تعلو الإنسان تكون من البرد والخوف ولا فعل له ومنه حديث ابن سلام: فأخذني أفكل وفي حديث ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى البحر أن أطع موسى بضربه لك فبات وله أفكل اهـــ وفي النهاية في غريب الحديث: الأفكل بالفتح الرعدة من برد أو خوف، ولا يبنى منه فعل وهمزته زائدة ووزنه أفعل ولهذا إذا سميت به لم تصرفه للتعريف ووزن الفعل، وفي حديث عائشة: فأخذني أفكل فارتعدت من شدة الغيرة اهـــ.

[2] قوله: أولى معناه: التهديد والوعيد ففي القاموس وشرحه تاج العروس: وقولهم: أولى لك: تـــهدد ووعيد، ومنه قوله تعالى: {**أولى لك فأولى**} معناه: التوعد والتهدد أي الشر أقرب اليك، وقال ثعلب: دنوتَ من الهلكة، وقال الاصمعي: أي قاربه ما يهلكه اهـــ.

[3] وذكر حديث عائشة هذا أيضا: الفخر الرازي في التفسير الكبير، والسيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والشيخ محمد يوسف الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.

ومنهم غلام أبي مسعود البدري الأنصاري

روى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول أعوذ بالله قال: فجعل يضربه، فقال: **أعوذ برسول الله،** فتركه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لله أقدر عليك منك عليه، قال: فأعتقه[1].

ومنهم الحارث بن حسان الصحابي ويقال: الحارث بن يزيد البكري رضي الله عنه

وفي (البداية والنهاية) ماحاصله: أن الإمام أحمد روى بسنده عن أبي وائل أن الحارث بن حسان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمر بالربذة فإذا عجوز من بني تميم، فقالت له: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغي إليه؟ فحملها فأتى المدينة، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، قال: فجلست فاستأذنت عليه، فأذن لي فدخلت وسلمت، فقال: هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟ فقلت: نعم، وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررتُ بعجوز من بني تميم فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب، فأذن لها فدخلت، ثم خاصمته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في "الدهناء"، تَدَّعِي أنّها لبني تميم قبيلتها، ويدعي هو أنّها

---

[1] صحيح مسلم باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث ٣١٣٧، وذكر حديث أبي مسعود هدا أيضا: ابن الأثير في أسد الغابة، وأبونعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، وعبد الرزاق في مصنفه، والمتقى الهندي في كنـــز العمال، وأبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) والعراقي في تخريخ أحاديث الإحياء.

لعشيرته، قال الحارث: فقلت: إن مثلي ما قال الأُوَلُ "معزاء حملت حتفها" حملتُ هذه الأمة ولا أشعر أنــها كانت لي خصما، **أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد**، قال: هيه وما وافد عاد؟ قلت: إن عادا قحطوا فبعثوا وافدا لهم يقال له: "قيل" فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر ويغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تــهامة، فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود، فنودي منها اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رمادا رمددا، لا تبقي من عاد أحدا، قال أبو وائل: وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد. وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وأورد هذا الحديث غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره، انتهى ما في البداية والنهاية بمعناه وحذف يسير.

ومنهم: سودة بنت مِسْرَح[١]

ففي (مختصر تاريخ دمشق) لابن منظور[٢]: قالت سودة بنت مسرح: كنت فيمن حضر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضربـــها المخاض، قالت: فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف هي، كيف هي ابنتي، فديتها ؟، قالت: قلت: إنـــها لتجهد يا رسول الله، قال: فإذا وضعت فلا تسبقيني به بشيء،

---

[١] قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة: سودة بنت مسرح بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الراء وقيل بالشين المعجمة والتشديد الكندية. وحديثها في وقت وضع فاطمة الزهراء الحسن بن علي. قلت: وصله بن منده من طريق عروة بن فيروز عنها اهـــ وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: روي عنها حديث واحد بإسناد مجهول، أنها كانت قابلة لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت الحسن فلفته في خرقة صفراء فنزعها عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفه في خرقة بيضاء وتفل في فيه وسماه الحسن اهـــ.

[٢] قال الزركلي في الأعلام: هو محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الافريقى، صاحب لسان العرب: الإمام اللغوى الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الانصاري. ولد بمصر وقيل: في طرابلس الغرب، وتوفى في مصر، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. وترجمه الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنه. فمما قال فيه: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة. وقال الصفدى: لا أعرف في كتب الأدب شيئا إلا وقد اختصره. أشهر كتبه لسان العرب عشرون مجلدا، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا. ثم ذكر الزركلي كثيرا من تآليفه، وعد منها: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، و نثار الازهار في الليل والنهار أدب، وهو الجزء الاول من كتابه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس في مجلدين، و مختصر تاريخ بغداد للسمعاني، ولد سنة ٦٣٠، وتوفي سنة ٧١١هـــ.

قالت: فوضعت فسررته[1] ولففته في خرقة صفراء، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعلت ابنتي فديتها، وما حالها؟ وكيف بني؟ فقلت: يا رسول الله، وضعته وسررته وجعلته في خرقة صفراء. فقال: لقد عصيتني. قالت: قلت: **أعوذ بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم** من معصية، سررته يا رسول الله ولم أجد من ذلك بداً. قال: ائتني به، قالت: فأتيته به فألقى عنه الخرقة الصفراء، ولفّه في خرقة بيضاء وتَفَل في فيه، وألبأه[2] بريقه. قالت: فجاء علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما سميته يا علي؟ قال: سميته جعفراً يا رسول الله. قال: لا، ولكنه حسن، وبعده حسين، وأنت أبو الحسن والحسين. وفي رواية: وأنت أبو الحسن الخير اهـ[3].

---

[1] أي قطعت سره، ففي القاموس وشرحه: سر الصبي يسره سرا: قطع سره وهو أي السر بالضم: ما تقطعه القابلة من سرته يقال: عرفت ذلك قبل أن يقطع سرك ولا تقل: سرتك لأن السرة لا تقطع وإنما هي الموضع الذي قطع منه السر اهـ وفي النهاية لابن الأثير أنه عليه السلام ولد مسرورا أي مقطوع السرة وهي ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة والسرر ما تقطعه وهو السر بالضم أيضا اهـ.

[2] قال في المصباح المنير: اللبأ مهموز وزان عنب: أول اللَّبَن عند الولادة. وفي القاموس: ألبأت الولد أرضعته إياه.

[3] وقد ذكر هذا الحديث ابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة، والمزي في تهذيب الكمال، وأبونعيم في معرفة الصحابة، وغيرهم بألفاظ مختلفة وليس فيها كلمة (ورسوله) التي بعد قوله: أعوذ بالله.

ومنهم رجل من أهل اليمن

قال الخطيب البغدادي في (المتفق والمفترق): أخبرنا أبو بكر البرقاني حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي إملاء في معجم الصحابة أخبرني أبو عبدالله محمود بن محمد حدثنا وهب بن بقية أخبرنا خالد عن عمرو بن يحيى عن زياد بن أبي زياد قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ركب من اليمن فأتوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألوهم عن حوائجهم فقال رجل منهم: حاجتي **أني أعوذ بالله ورسوله من النار**، فقال: **أعاذك الله ورسوله من النار**. قال الإسماعيلي رحمه الله: لا أدري له صحبة أولا يعني زياد بن أبي زياد.

وقال الخطيب البغدادي: حدث عن زياد بن أبي زياد عمرو بن يحيى بن عمارة المدني عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأخرجه بعض الشيوخ المحدثين في معجم الصحابة وليس يثبت له صحبة اهـ.

وقد ورد أيضا في حديث موقوف **الاستعاذة بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فروى الحافظ ابن السني في (عمل اليوم والليلة) في باب ما يقول إذا خاف السباع بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا كنت بواد تخاف فيه السباع فقل: أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد[1] اهـ.

وفي (البداية والنهاية) لابن كثير ما لفظه: روى الخرائطي من طريق إبراهيم ابن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن

---

[1] عمل اليوم والليلة ص١٦٩.

علي قال: إذا كنت بواد تخاف السبع فقل: أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد[1] اهـــ.

وفي (البداية والنهاية) أيضا: قال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن عبد الله حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت في يد ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتما، نقش فصه أسدان، بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل، قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال، أخذه أبو موسى يوم دفنه، قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم، فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده، فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته، إلا أنـــهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد، فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراه، فجاءت أمه فوجدتـــهما يلحسانه، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ، قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك، ثم قال الحافظ ابن كثير: هذا إسناد حسن[2].

---

[1] البداية والنهاية ج٢ ص ٣٤٤.

[2] البداية والنهاية ج٢ ص ٤١.

وفي (البداية والنهاية) أيضا: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني قال: إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان فحدثني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندي عن عبدالله ابن أبي الهذيل قال: ضرا بختنصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما، فلم يهيجاه فمكث ما شاء الله[1] اهـــ.

قلت: كأنّ الحكمة في التعوذ بدانيال عليه السلام -والله أعلم- هي تلك العلاقة والصحبة التي جرت بينه وبين الأسد، فكأن الله ألهم الأسد أن يرعى حق تلك الصحبة ولا يضر من استعاذ به منه احتراما للصحبة القديمة، ووفاء للعهود المنعقدة بلسان الحال بينهما، وقد يوجه أيضا بأن الله تعالى شرف دانيال عليه السلام بحفظ من استعاذ به من الأسد فلا تستطيع الأسود بضر من استعاذ به لصبره بما امتحن به من إلقائه في جب فيه أسدان وفي أجمة الأسد، فجازاه الله بذلك لتكون آثار صبره باقية خالدة، فيكون نظير ابتلاء أم اسماعيل وصبرها لما تركها نبي الله إبراهيم الخليل هي وابنها عند الكعبة المشرفة وحيدين لا أنيس لديهما ولا معين لهما، فسعت وتكررت مهمومة بين الصفا والمروة سبع مرات، فسن الله السعي بينهما، وجعله ركنا من أركان الحج والعمرة إبقاء لجميل صنيعها، وتذكيرا لعظيم صبرها بمن يأتي بعدها إلى الأبد، ويحتمل غير ذلك من الحكم والأسرار، والله تعالى وحده أعلم بالسر في ذلك.

---

[1] قوله يعور ملكك: أي يفسده فعطف يفسده عليه عطف تفسير، أو يجعل فيه الخلل أو يقبحه كما يؤخذ من شرح القاموس، وقوله: ضرا بختنصر أسدين أي أغراهما، ففي (القاموس) وشرحه ضراه تضرية: عوده وألهجه وأغراه، وفيهما أيضا ألهج أغري به وأولع فثابر عليه واعتاده.

قلت: ففي استعاذة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم مع تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك نصّ صريح في جواز الاستعاذة به صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا أن حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال فيه الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات، كما ذكرنا أن حديث غلام أبي مسعود أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وكفى به وحده دليلا وحجة، وذكرنا أيضا أن حديث الحارث بن حسان حسّنه أبو الفضل الحافظ العسقلاني، ففي هذه الأحاديث الصريحة التي لا تقبل التأويل حجة قطعية لأهل الحق المعتصمين بالسنة النبوية المطهرة، وإفحامٌ للمتنطعين المتعسفين المنكرين ذلك. والله الموفق .

بعض الصحابة يتوبون إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم

منهم: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

روى البخاري ومسلم واللفظ له عن القاسم بن محمد عن عائشة أنـــها اشترت نمرقة[١] فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت أو فعرفت في وجهه الكراهية فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال هذه النمرقة؟ فقالت: اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله صلى الله عليه

[١] قال السيوطي في الديباج قوله: نمرقة بضم النون والراء في الأفصح وسادة صغيرة اهـــ وقال النووي في المنهاج شرح مسلم: هي بضم النون والراء، ويقال: بكسرهما، ويقال: بضم النون وفتح الراء ، ثلاث لغات، وهي وسادة صغيرة اهـــ

وسلم: إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، ثم قال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة اهـ.

فانظر إلى قول عائشة رضي الله عنها: **أتوب إلى الله وإلى رسوله**، ولم ينكر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، بل سكت على قولها: **أتوب إلى الله وإلى رسوله**، مع أنه صلى الله عليه وسلم لا يسكت على منكَر كما هو معلوم. ففي الحديث جوز اطلاق هذه العبارة ومشروعيتُها. ومعنى قول السيدة عائشة: **أتوب إلى الله وإلى رسوله**- الرجوع من مخالفتهما إلى رضاهما. فقد قال علي بن سلطان قارئ في (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) في شرح هذا الحديث: قول عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله أتوب أي أرجع من المخالفة إلى الله وإلى رسوله أي رضاهما. وفي إعادة "إلى" دلالةٌ على استقلال الرجوع إلى كل منهما. قال الطيبي: فيه أدب حسن من الصديقة رضي الله عنها وعن أبيها حيث قدمت التوبة على إطلاعها على الذنب، ونحوه قوله تعالى: {**عفا الله عنك لم أذنت لهم**} قدم العفو تلطفا برسول الله بدأ بالعفو قبل إبداء الذنب كما قدمت التوبة على معرفة الذنب، ومن ثم قالت: ماذا أذنبت أي ما اطلعت على ذنب اهـ.

ومنهم: عيينة بن حصن رضي الله عنه

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام، فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم

وقال: لا يهولنّكم قطع ما قطع من الأشجار. في كلام طويل، فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قلت لهم؟ قال: دعوتــــهم إلى الإسلام، وأنذرتــــهم النار، وذكرتــــهم بالجنة. فقال: كذبت، بل قلت لهم كذا وكذا. فقال: صدقت يا رسول الله، **أتوب إلى الله وإليك** من ذلك. وذكر هذه القصة أيضا الذهبي في تاريخ الإسلام.

ومنهم: الحارث بن سويد

ففي (المنتظم) لابن الجوزي ما حاصله: لما قتل الحارث بن سويد مجذر بن زياد غيلة أتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، وأمره أن يقتله به، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء في ذلك اليوم، فدخل مسجد قباء فصلى فيه، فطلع الحارث بن سويد في ملحف، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى عويم بن ساعدة، فقال: قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله غيلة، فقال الحارث: قد والله قتلته وما كان قتلي إياه رجوعاً عن الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنه حمية الشيطان، **فإني أتوب إلى الله وإلى رسوله**، وجعل يمسك بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركاب ورجل في الأرض، وبنو مجذر حضور لا يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فلما استوعب كلامه، قال: قدمه يا عويم فاضرب عنقه، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه عويم فضرب عنقه انتهى ملخصا. وذكره السيوطي في (الباهر في حكم النبي صلى الله عليه وسلم

بالباطن والظاهر). وقد ذكرت عبارته في (التيجان المكلله في شرح النصائح المرسله).

المتوسلون من التابعين ومن بعدهم من السلف والخلف

أما المتوسلون من التابعين والسلف الصالح والخلف فكثير جدا ذكرت جملة كثيرة من أعيانـــهم في إقناع المؤمنين، وأذكر هنا قليلا منهم.

منهم الإمام أبو حنيفة التابعي رحمه الله

ففي الرسالة المسماة (هل نحتفل لمولد الرسول) نقل الإمام الجليل الكمال بن الهمام الحنفي صاحب (فتح القدير في مناسك الفارسي) و(شرح المختار من السادة الأحناف) لما زار أبو حنيفة المدينة وقف أمام القبر الشريف وقال:

يا أكرم الثقلين يا كنـــز الورى جد لي بجودك وارضني برضاك
أنا طامع في الجود منك ولم يكن لأبي حنيفـــة في الأنام سواك

ومنهم التابعي الجليل محمد بن المنكدر الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني رحمه الله

قال الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء): قال مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعيل ابن يعقوب التيمي كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه فكان يصيبه صمات[1]، فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع،

[1] الصمات بالضم: السكوت كما في المختار، وفي لسان العرب: يقال للرجل إذا اعتقل لسانه فلم يتكلم: أصمت فهو مصمت اهـــ.

فعوتب في ذلك فقال: إنه يصيبني خطر فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان يأتي موضعا من المسجد يتمرغ فيه، ويضطجع، فقيل له في ذلك، فقال: إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع [1] اهـ.

ورواه أيضا الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق) بسنده عن إسماعيل بن يعقوب التيمي بزيادة قليلة واختلاف يسير في بعض الألفاظ[2] .

وقال الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) و(طبقات الحفاظ): ولد ابن المنكدر: سنة بضع وثلاثين. وسمع أبا هريرة وابن عباس وجابرا وانسا وسعيد بن المسيب وطائفة سواهم. وقال البخاري: سمع من عائشة. وقال مالك: كان ابن المنكدر

---

[1] سير أعلام النبلاء ج٥ص٣٥٨، وفي التأمل في حقيقة التوسل للشيخ عيسى بن عبد الله الحميري: ولما ذكر الذهبي هذه القصة لم يتعقبها بشيء، وفي إسناد القصة إسماعيل بن يعقوب التيمي ضعفه أبو حاتم الرازي كما في الجرح والتعديل لابنه، وذكره ابن حبان في كتابه الثقات. والجرح إن لم يكن مفسرا فالتعديل مقدم عليه، وللقصة شواهد عن السلف مما يؤكد ثبوتها، وأقل ما يقال عن السند: إنه حسن، والله أعلم اهـ.

[2] ونص عبارته في تاريخ دمشق: كان محمد بن المنكدر يجلس مع أصحابه قال: فكان يصيبه صمات فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فعوتب في ذلك فقال: إنه يصيبني خطرة فإذا وجدت ذلك استغثت بقبر النبي صلى الله عليه وسلم. وكان يأتي موضعا من المسجد في السحر يتمرغ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك فقال إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع أراه قال: في النوم اهـ.

سيد القراء. وقال ابن عيينة كان من معادن الصدق، يجتمع إليه الصالحون. قلت: مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل.

وروى عفيف بن سالم، عن عكرمة بن إبراهيم، عن ابن المنكدر: أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟! قال: أخشى آية من كتاب الله: {**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**} فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

وكان لا يكاد أحد يسأله عن حديث، إلا كان يبكي.

وعن ابن المنكدر، قال: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

وقال: إن الله يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، فما يزالون في حفظ أو في عافية ما كان بين ظهرانيهم. وقال الواقدي توفى سنة ثلاثين ومائة انتهى ملخصا.

فانظر إلى تمرُّغ هذا التابعي الجليل واضطجاعه في الموضع الذي رأي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وهكذا كان شأن المحبين عشاق الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم، فشتان ما بين هؤلاء الغرقى في بحر حبه المتمَرِّغين بمواضع حضوره ورؤيته صلى الله عليه وسلم ولو مناما، الجارية دموع عيونهم لدى سماع اسمه صلى الله عليه وسلم وما بين أصحاب القلوب القاسية، والأفكار الجامدة، والألسنة الكاذبة، الذين خلعوا برقع الحياء عن وجوههم فتجرأو على ما يستحيي منه ذوو المروءات، فأنكروا مشروعية أشياء كثيرة تدل على تعظيمه وتبجيله صلى الله عليه وسلم مثل التوسل إلى الله بجاهه والسفر إلى زيارته

والاحتفال لمولده الشريف صلى الله عليه وسلم. وقد قال شيخ مشايخنا العلامة عبد الرحمن الزيلعي[١] الصومالي في قصيدته العينية المشهورة:

إذا زرت مولانا الحبيب محمدا　　تَمَرّغ بترب في مصلاه واركع[٢]

وقال شيخ مشايخنا سيدي بدر الدين الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه المركي في قصيدته الهائية:

تَمَرَّغ في أعتابه　　لكي تَرَى تِرياقه[٣]

ومنهم الضحاك بن قيس المعروف بالأحنف رحمه الله

ففي (تلخيص الحبير) للحافظ العسقلاني: روى ابن بشكوال عن ابن أبي جملة قال: أصاب الناس قحط بدمشق فخرج الضحاك بن قيس يستسقي فقال: أين يزيد بن الأسود؟ فقام وعليه برنس ثم حمد الله وأنثى عليه ثم قال: أي رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، قال: فما انصرفوا إلا وهم يخوضون في الماء.

---

١ وإنما كان شيخَ مشايخنا لأني كنت أخذت مرارا الإجازة القادرية تبركا وإجازة القرآن الكريم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عن الشيخ عبد الرحمن بن عمر الورشيخي، وهو أخذ عن الشيخ عبد الله ابن معلم يوسف القطبي، وهو عن الشيخ أبي بكر بن الشيخ يوسف القطبي، وهو أخذ عن الزيلعي المذكور رحمهم الله تعالى أجمعين.

٢ ومعنى قوله: واركع: صل فيه، فهي من باب اطلاق الجزء وإرادة الكل.

٣ في القاموس وشرحه تاج العروس: الترياق بالكسرة دواء مركب من أجزاء كثيرة ويطلق على ماله زهرية ونفع عظيم سريع وهو الآن يطلق على العادي الذي اخترعه ماغنيس الحكيم وتممه أندروماخس القديم بعد ألف ومائة وخمسين سنة اهـ.

وروى ابن الجوزي في (صفة الصفوة): عن علي بن أبي جُملة قال: أصاب الناس قحط بدمشق وعلى الناس الضحاك بن قيس الفهري، فخرج بالناس يستسقي فقال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فلم يجبه أحد، ثم قال أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ عزمت عليه إن كان يسمع كلامي إلا قام، فقام وعليه برنس فاستقبل الناس بوجهه ورفع جانبي برنسه على عاتقيه، ثم رفع يديه ثم قال: اللهم يا رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، قال: فانصرف الناس وهم يخوضون الماء، فقال: اللهم إنه قد شهرني فأرحني منه، قال: فما أتت عليه إلا جمعة حتى قتل الضحاك[1]. قال الحافظ الذهبي (في سير أعلام النبلاء): قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: استسقى الضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود فما برحوا حتى سقوا[2].

---

[1] صفة الصفوة ج٤ص٢٠٢-٢٠٣.

[2] سير أعلام النبلاء ج٤ص١٣٧.

ومنهم: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين التابعي(1)

روى ابن عساكر في (تاريخ دمشق) بسنده عن رزام مولى خالد بن عبد الله القسري فقال: بعث بي المنصور إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام وأمه أم فروة بنت قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، قال: فلما أقبلت به إليه والمنصور بالحيرة وعلونا النجف نزل جعفر بن محمد عن راحلته فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فصلى ركعتين ثم رفع يديه، قال رزام: فدنوت منه فإذا هو يقول: اللهم بك أستفتح وبك استنجح وبمحمد عبدك ورسولك أتوسل، اللهم سهل حزونته وذلل لي صعوبته وأعطني من الخير أكثر مما أرجو واصرف عني من الشر

---

(1) هو: جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ولد سنة ثمانين. ورأى بعض الصحابة، أحسبه رأى: أنس بن مالك، وسهل بن سعد.

وسئل أبو حنيفة من أفقه من رأيت؟ قال: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد.

وعن صالح بن أبي الأسود: سمعت جعفر بن محمد، يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي.

وقال جعفر بن محمد: إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك، فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقول، كانت عقوبة عجلت، وإن كان على غير ما يقول، كانت حسنة لم تعملها. وقال: إياكم والخصومة في الدين، فإنـــها تشغل القلب، وتورث النفاق.

ويروى: أن أبا جعفر المنصور وقع عليه ذباب، فذبه عنه، فألح، فقال لجعفر: لم خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة. وقال أيضا: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره، وستره.

وقال أيضا: من سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر بئرا لأخيه أوقعه الله فيه، ومن دخل مداخل السوء اتـــهم. مات رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومائة اهـــ.

أكثر مما أخاف. ثم ركب راحلته فلما وقف بباب المنصور وأُعْلِمَ بمكانه فتحت الأبواب ورفعت الستور، فلما قرب من المنصور قام إليه فتلقاه وأخذه بيده وماشاه حتى انتهى به إلى مجلسه فأجلسه فيه ثم أقبل عليه يسأله عن حاله وجعل جعفر يدعو له اهـ.

ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله

فقد ذكر الحافظ البيهقي في كتابه (مناقب الإمام الشافعي) والعلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه (الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة) أن الإمام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت حيث قال:

آل النبي ذريعتي وهمو إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي

ومنهم شيخ الحنابلة الخلال رحمه الله

قال الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذي قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال[1] يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله به تعالى ما أحب اهـ.

[1] والخلال هو الإمام الحافظ أبو علي الحسن بن إبراهيم وهو شيخ الخطيب والبيهقي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيرهم.

والخلال هو الإمام الحافظ أبو علي الحسن بن إبراهيم وهو شيخ الخطيب والبيهقي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيرهم. قال الخطيب: حَدَّثَ عَن محمد بن منصور الطوسي، وأبي بكر المروذي صاحب أحمد بن حنبل اهـــ.

ومنهم الحافظ ابن الجوزي الحنبلي

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في (صيد الخاطر): لما كثر مرضي وعجزت عن طبّ نفسي لجأت إلى قبور الصالحين، وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي [1].

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): هو الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد.

---

[1] وهذا في ضمن كلام طويل ذكره في فصل الخلوة وحلاوة المناجاة، وقال فيه: كنت في بداية الصبوة قد ألهمت سلوك طريق الزهاد بإدامة الصوم والصلاة، وحُببتْ إليّ الخلوةُ، فكنت أجد قلبا طيبا، وكانت عين بصيرتي قوية الحدة، تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات، ولي نوع أنس وحلاوة مناجاة، فانتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامي، فأمالني إليه، فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة، ثم استمالني آخر، فكنت أتقي مخالطته ومطاعمه، لخوف الشبهات، وكانت حالتي قريبة، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح، فانعدم ما كنت أجد من استنارة وسكينة، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب إلى أن عدم النور كله، فكان حنيني إلى ما ضاع مني يوجب انزعاج أهل المجلس، وكثر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طب نفسي، فلجأت إلى قبور الصالحين، وتوسلت في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي إلى الخلوة على كراهة مني، ورد قلبي عليّ بعد نفوره عني، وأراني عيب ما كنت أوثره، فأفقت من مرض غفلتي اهـــ صيد الخاطر ص٨١، بحذف يسير.

ولد: سنة تسع أو عشر وخمسمائة، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين، الثالث عشر من رمضان، سنة سبع وتسعين وخمسمائة، في داره اهـ.

وله تآليف كثيرة في الفنون المختلفة، ذكر كثيرا منها الذهبي في سير أعلام النبلاء، ثم قال الذهبي: قال سبطه أبو المظفر: سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعيَّ هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفا. وكان يختم في الأسبوع، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس. ثم سرد سبطه تصانيفه، ثم قال: ومجموع تصانيفه مائتان ونيّف وخمسون كتابا اهـ.

فالخلال وابن الجوزي هما إمامان جليلان حافظان من حفاظ السنة المطهرة، وهما من أئمة الحنابلة، وقد ذكرنا أنهما قد توسلا بقبور الصالحين. وهؤلاء المنكرون للتوسل يزعمون أنهم حنابلة متمسكون بمذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ومع هذا يخالفون كبار أصحاب أحمد، بل يخالفون الإمام نفسه، فقد ذكرنا أنه من القائلين بمشروعية التوسل وجوازه. فيا عجبا بهم وبتكاذبهم وتناقضهم، فمرة يدّعون أنهم من أتباع الإمام أحمد، ومرة يخالفونه ويخالفون كبار أصحابه، فهم في حَيْرَة من أمرهم وتلوُّن وتهافت، فالله يهدينا وإياهم.

ومنهم أبو الخير الأقطع

فقد قال الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق): قال أبو الخير: دخلت مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقا، فقدمت إلى القبر وسلمت على النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلى أبي بكر وعمر رضي الله

عنهما وقلت أنا ضيفك الليلة يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف المنبر فرأيت في المنام النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره، وعلي بن أبي طالب بين يديه، فحركني علي، وقال لي: قم قد جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: فقمت إليه وقبلت بين عينيه، فدفع إلي رغيفا فأكلت نصفه، فانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف. وأصله من المغرب. وقيل إن اسمه حماد بن عبد الله[١] اهـــ. وذكر هذه القصة أيضا الحافظ أبوعبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية).

ومنهم ابن الحاج محمد بن محمد رحمه الله

فقد قال في (المدخل): اللهم لا تحرمنا شفاعته، صلى الله عليه وسلم ولا عنايته، في الدنيا والآخرة بجاهه عندك، فإن جاهه عندك عظيم اهـــ[٢].

ومنهم ابن حزم الظاهري رحمه الله

وهو الإمام الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الظاهري، فإنه قال في آخر كتابه (جوامع السيرة النبوية) ما لفظه: نسأل الله تعالى مستشفعين به صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى جل ثناؤه أن يجمع بيننا وبينه، وأن يحجبنا

---

١ وكان أوحد في طريقته في التوكل، وكان حاد الفراسة، وكان أسود، من العباد المشهورين والزهاد المذكورين، وله كرامات وآيات يطول شرحها، وكان تأوي إليه السباع والهوام ويأنسون به لم تزل ثغور الشام محفوظة أيام حياته إلى أن مضى لسبيله رحمه الله. مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة اهـــ من تاريخ دمشق.

٢ المدخل لابن الحاج ج١ص ٢٦٤

ببركة متابعته عن النار. وقال الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ): تصانيفه كثيرة منها: سيرة نبوية في مجلد.

ومنهم الإمام النووي الشافعي رحمه الله

قال الإمام النووي في آخر مقدمة (التلخيص شرح الجامع الصحيح) للإمام البخاري: وهذا حين أشرع في شرح الكتاب مستعينا بالله تعالى متوكلا عليه، مفوضا أمري إليه، مستشفعا برسول الله صلى الله عليه وسلم المضاف هذا الكتاب إلى سننه صلى الله عليه وسلم في تيسر إتمامه، مع الصيانة وعموم الفائدة[1].

ولد الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله سنة احدى وثلاثين وستمائة. وكان رحمه الله تعالى عالما نحريرا إمام الفقهاء والمحدثين لغويا نحويا زاهدا شديد الورع، مجدد الملة لهذه الأمة في عصره، ومحرر مذهب الإمام الشافعي، وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوي الحديثية: كان النووي رحمه الله وشكر سعيه متحليا من السنة بما لم يلحقه فيه أحد ممن جاء بعده كما صرح به الحفاظ اهـ

وقال السيوطي وغيره: لم تسمع بعد التابعين بمثله أذن، ولم تر ما يدانيه عين، وقال السخاوي: نقل التاج السبكي عن والده أنه قال: ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي، ولا التيسير الذي يسر له، وقال السيوطي: وكان إذا ذَكَرَ الصالحين ذَكَرَهم بتعظيم وتوقير واحترام وذكر مناقبهم. وقد أنفق ساعات عمره في خدمة ربه، وصدق من قال في وصفه: لم يصرف ساعة في غير طاعة، وذكر

---

[1] مقدمة التلخيص شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري ص٢٨٥.

السخاوي أنه قال: بقيت نحو سنتين لا أضع جنبي بالأرض، وحفظت التنبيه في نحو أربعة أشهر ونصف.

وأفردت في ترجمته التآليف منها: (تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي) لتلميذه علاء الدين ابن العطار، وهي ترجمة حافلة، تكلم فيها بإسهاب عن خصاله الشريفة، وعلومه الكثيرة، وأخلاقه وورعه وزهده وغير ذلك من أحواله الحميدة، ومنها (المنهاج السوي في ترجمة النووي) للحافظ السيوطي، ومنها (المنهل العذب الروي في ترجمة النووي) للحافظ السخاوي، وقد طالعت مرارا هذه الكتب الثلاثة والحمد لله.

وأثنى عليه كثير من الحفاظ والفقهاء وغيرهم، منهم الحافظ الذهبي فقال في (سير أعلام النبلاء)، و(تذكرة الحفاظ)، و(تاريخ الإسلام): النووي هو الإمام القدوة الحافظ النبيه الفقيه المجتهد شيخ الإسلام حسنة الأنام مفتي الأمة علم الأولياء الزاهد العابد الرباني انتهى.

وقال ابن حجر الهيتمي في خطبة كتابه (تحفة المحتاج): هو -أي النووي- القطب الرباني والعالم الصمداني ولي الله بلا نزاع ومحرر المذهب بلا دفاع، قدس الله روحه ونور ضريحه اهـ

وقال ابن علا الصديقي في خطبة (دليل الفالحين) هو شيخ الإسلام، علم الأئمة الأعلام، أوحد العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، عين المحققين، وملاذ الفقهاء والمحدثين، وشيخ الحفاظ، وإمام أرباب الضبط المتقنين، شيخ الإسلام والمسلمين اهـ

وقد كان تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله تعالى مع إمامته وبلوغه رتبة الإجتهاد يتبرك بموطئ أقدامه[١]، وهكذا كان الأئمة يتبرك بعضهم بعضا كما تبرك الإمام الشافعي بقميص تلميذه الإمام أحمد بن حنبل.

---

[١] فقد قال السخاوي: في كتابه (ترجمة الإمام النووي) والسيوطي في (المنهاج السوي في ترجمة النووي) إن الشيخ الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية كان يمرغ وجهه على البساط، وكان النووي يجلس على هذا البساط وقت الدرس، فيقول السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى　　　على بسط لها أصبو وآوي

عسى أني أمس بحر وجـــهي　　　مكانا مسه قـــدم النواوي

وقال تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) في ترجمة النووي : إذا أردت أنا أن أجمل تفاصيل فضل النووي وأدل على الخلق على مبلغ مقداره بمختصر القول وفصله، لم أزد على بيتين أنشدنيهما من لفظه لنفسه الشيخ الإمام الوالد، وكان من حديثهما أي البيتين أنه أعني الوالد رحمه الله لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية سنة٧٤٢هـــ كان يخرج في الليل فيتهجد، ويمرغ وجهه على البساط، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس فأنشدني الوالد لنفسه: وفي دار الحديث إلى آخر البيتين السابقين.

وقال الهيتمي في حاشية الإيضاح في مناسك الحج: قد أجمع الأئمة بعده على أن النووي هو البالغ في العرفان والاجتهاد الغاية القصوى، والحقيق بتعفير الوجوه على مواطئ أقدامه، فضلا عن تقديم آرائه في القضاء والفتوى حتى قال السبكي مع جلالته:

وفي دار الحديث لطيف معنى　　　على بسط لها أصبو وآوي

لعلي أن أنال بِحُرِّ وجـــهي　　　مكانا مسه قـــدم النواوي

قال ابن فارس في مقاييس: اللغة صبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه، وقوله وآوي: بكسر الواو كما في قوله تعالى أو آوي إلى ركن شديد، وفي القاموس أويت منـــزلي وإليه نزلته بنفسي وسكنته، وقوله بحر وجهي: والحر بضم الحاء ما بدا من الوجه كما في القاموس، وفي المقاييس: حر الدار وسطها.

وألف التصانيف العديدة النافعة في كثير من الفنون، بلغت أكثر من أربعين كتابا، وقد تلقتها الأمة بالرضا والقبول، وانتفعت بـــها أتم الانتفاع في مشارق الأرض ومغاربـــها، منها ما تممها كمنهاج الطالبين، و(المنهاج شرح مسلم بن الحجاج)، ورياض الصالحين، والأذكار، و(الإرشاد) و(التقريب) كلاهما في مصطلح الحديث، و(تـــهذيب الأسماء واللغات) و(التبيان في آداب حملة القرآن)، و(تحرير التنبيه وتصحيحه) و(طبقات الفقهاء) و(الإيضاح في مناسك الحج)، و(بستان العارفين) في التصوف، و(روضة الطالبين). وفي (المنهل العذب الروي في ترجمة النووي) للسخاوي: أخبرنا الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن خفاجة الصفدي، وكان من العلماء العاملين، قال: رأيت رسول الله صلى اله عليه وسلم بمنامي، فقلت: يا رسول الله، ما تقول في النووي، قال: **نعم الرجل النووي**. فقلت: صنّف كتاباً وسماه (الروضة) فما تقول فيها؟ قال: هي الروضة كما سماها اهـــ. ومما لم يتممها شرح صحيح البخاري وأبي داود، والمجموع شرح المهذب، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ومما لم يتممه ولو كمل لم يكن له نظير في بابه شرح المهذب الذي سماه (المجموع) وصل فيه إلى كتاب الربا، فأبدع فيه وأجاد وأفاد وأحسن الانتقاد، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره، وحرر فيه الحديث على ما ينبغي، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه، ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه اهـــ.

توفي رحمه الله ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة.

قلت: فهذه نقط من بحر محاسن هذا الإمام النووي، ولمحات يسيرة من سني أوصافه وشريف خصاله، وقد علمت أنه تشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في مقدمة شرحه على صحيح البخاري، ومَن هذا شأنه لا يُتَّهم به أنه يتجاسر على انتهاك الحرمات، وارتكاب المنهيات، بل يجتنب عما يُخِل بالمروءت، فإذا تشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا الإمام الورع المتبحر في علوم السنة المطهرة وغيرها من علوم الشريعة وآلاتها علمت أنه لا التفات إلى مزاعم المرجفين والجهال المبتدعين الزاعمين بتكفير المتوسلين والمتشفعين والمستغيثين بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم لا يبلغون معشار عشره في معرفة فنٍّ واحد من فنون العلم الشريف، بل إنهم محتاجون إلى علمه فيقرأون كثيرا من كتبه ويعتمدون عليها وينقلون منها مثل المجموع ورياض الصالحين وشرحه على صحيح مسلم وغيرها، ومن عجيب شأنهم أن منهم جهالا لا يحسنون شروط الصلاة وأركانها ثم ينعقون بتكفير أئمة الإسلام أو بتبديعهم، ويحاولون مع جهلهم هذا أن يصدوا الناس عن تقليد الأئمة المجتهدين ويدعوهم إلى متابعتهم وتقليدهم في تكفير الراسخين في العلم، مثل الإمام النووي رحمه الله، وهذا كثير في عصرنا هذا، نعوذ بالله من رأي الخوارج وتكفير المسلمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومنهم الإمام المجتهد تقي الدين علي بن عبد الكافي السُبْكِيّ[1] الشافعي رحمه الله

قال ولده عبد الوهاب تاج الدين السبكي في ترجمة أبيه من كتابه (طبقات الشافعية الكبرى) بعد كلام حكاه عن والده: قال الوالد رحمه الله: أسأل الله خاتمة حسنة بمنه وكرمه وبمحمد صلى الله عليه وسلم، كتبه علي السبكي في يوم السبت مستهل جمادى الآخرة سنة ٧٥٣ بظاهر دمشق. هذا صورة خطه على حاشية كتاب (الطبقات الوسطى) انتهى ما نقلته من طبقات ابن السبكي. وقد ذكرنا أن الإمام السبكي من القائلين بجواز التوسل وحسنه.

وقال ابن شبهة في طبقات الشافعية: هو الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب الحكيم المنطقي الجدلي الخلافي النظار شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ولد الإمام في مستهل صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة اهـ.

وقال الحافظ عبد الرحيم العراقي شيخ ابن حجر العسقلاني: لم يخلف السبكي بعده مثله اهـ.

وترجم له خلائق منهم الحافظ العسقلاني في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) والحافظ الذهبي في المعجم المختص، وتذكرةِ الحفاظ وغيرهما، والداوودي في طبقات المفسرين، والسيوطي في بغية الوعاة، وحسن المحاضرة، وابن كثير في البداية

---

[1] السبكي نسبة إلى سبك، قال الحافظ السيوطي في لب اللباب بتحرير الأنساب: السبكي بالضم والسكون إلى سبك قرية بمصر اهـ

والنهاية، والاسنوي في طبقات الشافعية، وابن تَغْرِيْ بَرْدِيْ في (النجوم الزاهرة)، وغيرهم[١].

وقال ولده تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: أنشدنا الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي لنفسه وأرسلها معي إلى الوالد رحمه الله وهي فيما أراه آخر شعر قاله لأن ذلك كان في مرض موته قبل موته بيومين أو ثلاثة:

تقيَ الدين يا قاضي الممالك ومَن نحن العبيد وأنت مالك
بلغت المجد في دين ودنيا ونلت من العلوم مدى كمالك
ففي الأحكام أقضانا علي وفي الخدام مع أنس بن مالك
وكابن معين في حفظ ونقد وفي الفتيا كسفيان ومالك
وفخر الدين في جدل وبحث وفي النحو المبرد وابن مالك

---

١ قال الحافظ العسقلاني في الدرر الكامنة: تفقه الإمام السبكي على والده عبد الكافي بن علي ودخل القاهرة واشتغل على ابن الرفعة، وأخذ الأصلين عن الباجي، والنحو عن أبي حيان، والتصوف عن ابن عطاء الله السكندري، وأخذ عن خلائق غيرهم. وكان لا يقع له مسألة مستغربة أو مشكلة إلا ويعمل فيها تصنيفا يجمع فيه شتاتـــها طال أو قصر اهـــ.

وقال ولده التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: ومن تلاميذه الحافظ أبو الحجاج المِزي والحافظ الذهبي وأبومحمد البرزالي وخلائق غيرهم. وقد ذكره الذهبي في معجمه المختص فقال: هو القاضي الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء تقي الدين السبكي، سمعت منه وسمع مني، وانتهى إليه الحفظ ومعرفة الأثر في الديار المصرية اهـــ

وللإمام السبكي تآليف كثيرة نافعة، ذكر بعضهم أنـــها تزيد على مائتي مصنف. وتوفي رحمه الله سنة ٧٥٦هـــ وقد ذكرت نبذة من ترجمته في كتابي إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين.

وتسكن عند رضوان قريبا كما زحزحت عن نيران مالك[1]

وقال ولده التاج: صح من طرق شتى عن الشيخ تقي الدين بن تيمية أنه كان لا يعظم أحدا من أهل العصر كتعظيمه للوالد وأنه كان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه اهـ. وكفى الإمامَ السبكيَ بهذا شهادة ومنقبة وفخرا، فإن شهادة الأعداء أقوى وأبلغ في الثناء من شهادة الأحباب والأصدقاء كما قال القائل:

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

وقد صنف الإمام السبكي رحمه الله في الرد على ابن تيمية في منعه السفر لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا سماه: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، وصنف أيضا في الرد على ابن القيم الجوزية تلميذِ ابن تيمية كتابا سماه: السيف الصقيل في الرد على ابن الزفيل.

فَاعجبْ بمن يكفِّر مثل هذا الإمام السبكي أو يبدِّعه بتوسله بسيد الأنام صلى الله عليه وسلم.

ومنهم العلامة تاج الدين السبكي رحمه الله ولد تقي الدين السبكي الشافعي

هو الإمام العلامة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي. ففي (طبقات الشافعية الكبرى) أنه قال في قصيدة نونية جمع فيها المسائل الاعتقادية التي اختلف فيها الأشاعرة وأبو حنيفة رضي الله عنهم أجمعين:

---

[1] قوله: مدى كمالك من الكمال أي غاية كمالك، وقوله: كسفيان ومالك المراد منهما سفيان بن عيينة شيخ الإمام الشافعي، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة، وقوله: عن نيران مالك المراد منه: مالك خازن النار، هذا ما ظهر والله أعلم.

ونبيـــنا خـــير الخلائـــق أحمـــد ذو الجاه عـــند الله ذي السلطان
وله الشفاعة والـــوسيلة والفـــضيـــ ــــلة واللواء وكـــوثر الظمـــآن
فاسئل إلـــهـــك بالنبي مـــحمـــد متوسلا تظـــفر بكـــل أمـــان
لا خلق أفـــضل منـــه لا بشر ولا ملك ولا كـــون مـــن الاكوان
ما العرش ما الكرسي ما هذي السما عند النبي المصطفى العـــدنان

ثم قال في أواخرها:

فأجارنا الرحـــمن بالهـــادي النبـــ ـــي محـــمد من ناره بأمـــان[١]

وقال العلامة مرتضى الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين): هذه القصيدة على وزان قصيدة لابن زفيل التي هي ستة آلاف بيت ردّ فيها على الأشعري وغيره من أئمة السنة وجعلهم جهمية تارة وكفارا أخرى، وقد ردّ عليها شيخ الاسلام التقي السبكي في كتاب سماه (السيف الصقيل). وما أظن ولده التاج أراد في قوله:

كذب ابن فاعلة يقول بجهلـــه اللـــه جسم ليس كالجسمان

إلا هذا الرجل وإن لم يصرح به[٢].

١ ج٢ص٢٦٤-٢٦٥. وهذه القصيدة طويلة مفيدة جدا. قال مؤلفها ابن السبكي: قد ولع كثير من الناس بحفظها. قلت: والاحتياج إلى حفظها أشد في عصرنا مما كان في عصره، فإننا في زمان انتشر فيه الجهل والعناد والافتراء على الأئمة، خصوصا على رئيسهم وحامل رايتهم في العقيدة أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري، واغترّ كثير من الشبان بما في قصيدة ابن زفيل وما يماثلها.

٢ إتحاف السادة المتقين ج٢ص١٠.

قال الحافظ العسقلاني في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة): عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين ابن تقي الدين ولد سنة ٧٢٧، أمعن في طلب الحديث وكتب الأجزاء والطباق مع ملازمته الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب، وأجاد في الخط والنظم والنثر وشرح مختصر ابن الحاجب ومنهاج البيضاوي وعمل في الفقه التوشيح والترشيح ولخص في الأصول جمع الجوامع وعمل عليه منع الموانع وعمل القواعد المشتملة على الاشباه والنظائر، وكان ذا بلاغة وطلاوة اللسان، عارفاً بالأمور، وانتشرت تصانيفه في حياته وورزق فيها السعد، وعمل الطبقات الكبرى والوسطى والصغرى وكان جيد البديهة طلق اللسان أذن له ابن النقيب بالإفتاء والتدريس ودرس في غالب مدارس دمشق، وناب عن أبيه في الحكم، ثم استقل به باختيار أبيه وولي دار الحديث الأشرفية بتعيين أبيه، وانتهت إليه رياسة القضاء والمناصب بالشام، وكان جواداً مهيباً، قال الشيخ شهاب الدين ابن حجي أخبرني أن الشيخ شمس الدين ابن النقيب أجاز له بالإفتاء والتدريس و لم يكمل العشرين لأن عمره لما مات ابن النقيب كان ثمانية عشر عاماً، قال: وقد صنف تصانيف كثيرة جداً على صغر سنه قرأت عليه وانتشرت في حياته وبعد موته ومات في سابع ذي الحجة سنة ٧٧١ خطب يوم الجمعة فطعن ليلة السبت رابعه ومات ليلة الثلاثاء اهـــ. فكان عمره رحمه الله خمسا وأربعين سنة.

وقال أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني في ذيل كتاب (العبر في خبر من غبر) سئل سيدنا قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين السبكي في العود إلى قضاء الشام على عادته فلم يجب، حتى روجع في ذلك مرات فعاد بحمد الله تعالى إلى دمشق قاضياً على عادته، فقرت برؤية وجهه العيون، وسر بقدومه الناس أجمعون. وكان يوم دخوله إلى دمشق كالعيد لأهلها، وقد كان أيده الله تعالى في مدة إقامته بمصر على حال شهيرةٍ من التعظيم والتبجيل، يعتقده الخاص والعام، ويتبرك بمجالسته ذوو السيوف والأقلام، ويزدحم طلبة فنون العلم على أبوابه، وتمسح العامة وجوهها بأهداب أثوابه، ويقتدي المتنسكون بما يرونه من آدابه. فالله يمتع ببقائه أهل المصرين، ويجمع له ولمواليه خير الدارين بمحمد وأله اهـــ.

ومنهم عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة

وهو الشيخ العارف بالله أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، فقد قال في آخر كتابه (بـــهجة النفوس) شرح مختصره المسمى (جمع النهاية في بدء الخير والغاية) ما لفظه: أتوسل إليك بجاه من على رسلك اصطفيته، والمقامَ المحمودَ وعدته، أن تنعم علينا بما فيه رغبتنا إلخ وتوفي رحمه الله سنة ٦٩٩ اهـــ .

ومنهم الحافظ العسقلاني الشافعي رحمه الله

ففي (شواهد الحق) للعلامة النبهاني، و(الإغاثة بأدلة الاستغاثة) للشيخ حسن بن علي السقاف أن الحافظ ابن حجر العسقلاني قال كمافي ديوانه بخط اليد:

نبي الله يا خـــير الـــبرايا ... بجاهك أتقي فصل القضاء
وأرجو ياكريم العفو عمّا ... جنته يداي يا رب الحباء

فقل يا أحمد بن علي اذهب   إلي دار النعيم بلا شقاء
عليك سلام ربّ الناس يتلو   صلاة في الصباح وفي المساء

ومنهم الحافظ محمود بن أحمد البدر العيني الشافعي رحمه الله

قال الشيخ محمود بن أحمد بن موسى البدر العيني الحنفي في أول شرحه الكبير (عمدة القاري شرح صحيح البخاري): فها نحن نشرع في المقصود بعون الملك المعبود، ونسأل الله الإعانة على الختام متوسلا بالنبي خير الأنام، وآله وصحبه الكرام اهـ.

وقال في كتابه: (عقود الجمان في تاريخ أهل الزمان): فنسأل الله العظيم متوسّلين بنبيه الكريم أن يحرسنا من شر كل ذي شرّ وحسد، ومن عداوة كل ذي حقد ونكد، وأن يجعلهم مشغولين بأنفسهم حتى لا يشتغلون بالحط علينا، وببلوغ المنكّدات إلينا، إنه على ذلك قدير، وبدفعهم عنا هو القادر الجدير [1]اهـ

ومنهم العلامة المحقق مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني رحمه الله

فقد قال في آخر شرحه على (التلخيص): ختم الله تعالى بالحسنى، ويسر لنا الفوز بالذخر الأسنى، بحق النبي صلى الله عليه وسلم وآله اهـ.

---

[1] عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، قبيل فصل فيما وقع من الحوادث في السنة التاسعة والثمانين بعد الستمائة.

واسم سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله، هذا هو المشهور، قال ابن حجر في كتابيه (الدرر الكامنة)) و (أنباء الغمر)): إن اسمه محمود بن عمر . ومن مليح شعره:

إذا خاض في بحـــر التفكر خاطري على درة مـــن معضلات المطالب
حقرت ملوك الأرض في نيل ما حووا ونلت المنى بالكتب لا بالكتائب

توفي رحمه الله سنة ٧٩١ هـــ

ومنهم الحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني الشافعي رحمه الله قال في (المواهب اللدينة): لقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٩٣ بمكة زادها الله شرفا، ومنّ عليّ بالعودة في عافية بلا محنة، فبينما أنا نائم جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئا مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم. ووقع لي أيضا في سنة ٨٨٥ هـــ في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشة، واستمر بِها أياما فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأتاني آت في مناني ومعه الجني الصارع لها فقال: لقد أرسله لك النبي صلى الله عليه وسلم، فعاتبته وحلّفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت وليس بِها قلبة[1]

[1] والقلبة داء وتعب كما في القاموس .

كأنما نشطت من عقال، ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة ٨٩٤هـــ والحمد لله رب العالمين [١].

ولنختم بذكر المتوسلين بخاتمة الحفاظ المجتهد أبي الفضل جلال الدين **عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي رحمه الله** [٢]

فقد ذكر في (حسن المحاضرة) أنه كان في عصره أمير يقال له ازدمر الطويل، اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم يعني الحاكم الجبار الذي ادعى الربوبية، وكان يروم أن يتولى المملكة، فلو قدر الله له بذلك فعل نحو ما فعله الحاكم، وقد أطلعني على ما في ضميره وطلب مني أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة، فيقوم بالخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده، فضِقْتُ بذلك ذرعا، وما زلت أتضرع الى الله تعالى في هلاكه، وأن لايوليه على المسلمين، وأستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسأل فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله، فلله الحمد على ذلك[٣] اهـــ.

---

[١] المواهب اللدنية ج٤ص ٥٩٥.

[٢] ترجمه في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، وفهرس الفهارس للكتاني، وكشف الظنون لحاج خليفة، والأعلام للزركلي، والبدر الطالع للشوكاني، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة، وترجم هو لنفسه في حسن المحاضرة.

[٣] حسن المحاضرة ج١ص٦٠٣

وقال السيوطي أيضا في ختام كتابه (تاريخ الخلفاء): أسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين اهـ.

وهو العالم العامل، والنحرير الكامل، والإمام الفاضل، وحيد عصره وفريد دهره، وهو البحر الذي لا ساحل له، بهجة المفسرين وخاتمة الحفاظ، وكان يقال له: ابن الكتب لأن أمه وضعته في غرفة الكتب. ولد سنة ٨٤٩، وتوفي رحمه الله سنة ٩١١هـ.

له التآليف الكثيرة، في الفنون المختلفة، قال الكتاني في فهرس الفهارس: قال ابن القاضي في درة الحجال: إن تصانيفه لا تحصى تجاوز الألف.

وفي مشيخة البدر القرافي لدى ترجمة شيخه أبي عبد الله محمد بن أبي الصفا شهاب الدين أحمد البكري: أنه قرأ على شيخه الحافظ السيوطي فهرس أسماء مؤلفاته قال: وهي ستمائة مؤلف اهـ. ونشر في آخر كشف الظنون المطبوع قديماً بأوربا فهرس مؤلفات السيوطي أوصلت فيه إلى خمسمائة وأربعة كتب، وقد ظفرت في مصر بكراسة من تأليف السيوطي عدد فيها تآليفه إلى سنة ٩٠٤ قبل موته بسبع سنين، أوصل فيها عدد مؤلفاته إلى ٥٣٨، فعدد ما له في علم التفسير ٧٣، وفي الحديث ٢٠٥، والمصطلح ٣٢، والفقه ٧١، وأصول الفقه والدين والتصوف ٢٠، واللغة والنحو والتصريف ٦٦، والمعاني والبيان والبديع ٦، والكتب الجامعة من فنون الطبقات والتاريخ ٣٠، الجميع ٥٣٨ اهـ.

وفي (شذرات الذهب) ج٨ ص٥١ لابن العماد الحنبلي: أن الحافظ جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ولد سنة ٨٤٩، وختم القرآن العظيم وله من العمر دون ثمان سنين، ثم حفظ (عمدة الأحكام) و (منهاج النووي) و (ألفية ابن مالك) و (منهاج البيضاوي) واجتهد وجد، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، قال: ولو وجدت أكثر لحفظته!! وله تآليف كثيرة نافت-أي زادت- عدتـــها على خمسمائة مؤلف. ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا وأهلها. ورؤي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث والنبي يقول له: هات ياشيخ السنة، ورأى هو بنفسه هذه الرؤيا والنبي يقول له: هات يا شيخ الحديث، وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي أن السيوطي كان يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فقال لي: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم، فقلت: من غير عذاب سبق؟ فقال: لك ذلك، وقال له الشيخ عبد القادر: كم رأيتَ النبي صلى الله عليه وسلم يقظة؟ فقال: بضعا وسبعين مرة، وتوفي سنة ٩١١ اهـــ.

وقال في (حسن المحاضرة): قد كملت عندي الآن آلة الإجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر!! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها

وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله لاقوة إلا بالله اهـــ.

وقال الشوكاني في (البدر الطالع): هو الامام الكبير صاحب التصانيف ولد فى أول ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمان مائة، وبرز فى جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعد صيته وصنف التصانيف المفيدة. وتصانيفه فى كل فن من الفنون مقبولة قد سارت فى الأقطار مسير النهار[1] اهـــ

---

[1] قال العلامة محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في فهرس الفهارس: للحافظ السيوطي التآليف الممتعة في جُلّ الفنون قد عد بعضها في ترجمته من حسن المحاضرة له منها ما يتعلق بخصوص الصناعة الحديثية كتابه كشف المغطى في شرح الموطا، اسعاف المبطا برجال الموطا، التوشيح على الجامع الصحيح، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، مرقاة الصعود على سنن أبي داود، قوت المغتذي على جامع الترمذي، زهر الربى على المجتبى للنسائي، تنوير الحوالك على موطأ مالك، شرح ابن ماجه المسمى مصباح الزجاجة، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، شرح ألفية العراقي الألفية وتسمى نظم الدرر في علم الأثر، شرحها المسمى قطف الدرر، التهذيب في الزوائد على التقريب، عين الإصابة في معرفة الصحابة، كشف التلبيس عن قلب أهل التدليس، توضيح المدرك في تصحيح المستدرك، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة الكبرى، والصغرى، النكت البديعيات على الموضوعات، الذيل على القول المسدد، القول الحسن في الذب عن السنن، لب الألباب في تحرير الأنساب، تقريب القريب، المدرج إلى المدرج، تذكرة المرتسي فيمن حدث ونسي، تحفة النابه بتلخيص المتشابه، الروض المكلل والورد المعلل في المصطلح، منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال، المعجزات والخصائص النبوية وهي كبرى وصغرى، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، البدور السافرة عن أمور الآخرة، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، فضل موت الأولاد، اللمعة في خصائص يوم الجمعة، منهاج السنة ومفتاح الجنة، تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش، بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للضلال، مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، مطلع البدرين فيمن

يؤتى أجره مرتين، سهام الإصابة في الدعوات المجابة، الكلم الطيب والقول المختار في المأثور من الدعوات والأذكار، الطب النبوي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة، ويسمى " التعظيم والمنة في أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة " بل له في هذا الباب ستة مؤلفات مطبوعة، المسلسلات الكبرى، جياد المسلسلات، أبواب السعادة في أسباب الشهادة، تزيين الأرائك في أخبار الملائك، الثغور الباسمة في مناقب السيدة آمنة، مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، الألماس في مناقب بني العباس، در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، زوائد شعب الإيمان للبهيقي، لم الأطراف وضم الأتراف على حروف المعجم، أطراف الاشراف بالاشراف على الأطراف، جامع المسانيد، الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة، تخريج أحاديث الدرة الفاخرة يسمى " تجربة العناية " ، الحصر والإشاعة لاشراط الساعة، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، زوائد الرجال على تـــهذيب الكمال، الدر المنظم في الاسم المعظم، جزء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، من عاش من الصحابة مائة وعشرين، جزء في أسماء المدلسين، اللمع في أسماء من وضع، الأربعون المتباينة، در البحار في الأحاديث القصار، الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة، المرقاة العلية في شرح الأسماء النبوية، الآية الكبرى في شرح قصة الإسرا، أربعون حديثا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر، فهرسة المرويات، بغية الرائد في الذيل على مجمع الزوائد، أزهار الاكام في أخبار أحاديث الأحكام، الهيئة السنية في الهيئة السنية، تخريج أحاديث شرح العقائد، الكلام على حديث ابن عباس احفظ الله يحفظك، أربعون حديثا في فضل الجهاد، أربعون حديثا في رفع اليدين في الدعاء، التعريف بآداب التأليف، العشاريات، القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، كشف النقاب عن الألقاب، نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير من الصغير، من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة، زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذي، الجواب الجزم عن حديث التكبير جزم، جزء في صلاة الضحى، المصابيح في صلاة التراويح، أنموذج في خصائص اللبيب الحبيب.
الجامع الكبير، والجامع الصغير، جمع فيهما عدة آلاف من الأحاديث النبوية مرتبة على حروف المعجم، وهما المعجم الوحيد الآن المتداول بين المسلمين الذي يعرفون به كَلِمَ نَبِيِّهم ومخرجيها ومظانها ومرتبتها في الجملة، تاريخ الصحابة، طبقات الحفاظ، طبقات النحاة الكبرى والوسطى والصغرى، طبقات المفسرين، طبقات الأصوليين، طبقات الكتاب، حلية الأولياء، طبقات شعراء العرب، تاريخ الخلفاء، تاريخ مصر،

قلت: هذا الإمام هو الذي استغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأرباب الأحوال، فهل من المعقول أن يحمل عليه الجهلُ على ارتكاب الشركيات واقتراف المنهيات، ويكون من العلماء المهتدين والأئمة المجتهدين هؤلاء الجهال المضلون الذين يكفرون المتوسلين والمستغيثين، كلا ثم كلا، قال الله سبحانه وتعالى: {**قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا**}. والله الموفق.

تاريخ أسيوط، معجم شيوخه الكبير يسمى حاطب ليل وجارف سيل، المعجم الصغير ويسمى المنتقى، ترجمة النووي، ترجمة البلقيني، الملتقط من الدرر الكامنة، تاريخ العمر وهو ذيل إنباء الغمر، رفع الباس عن بني العباس، النفحة المسكية والتحفة المكية على نمط عنوان الشرف، الرحلة الفيومية، الرحلة المكية، الرحلة الدمياطية، المنى في الكنى، الشماريخ في علم التاريخ، مختصر تَهذيب الأسماء للنووي، تحفة الذاكرين المنتقى من تاريخ ابن عساكر، ترجمان القرآن، التفسير المسند، اختصاره الدر المنثور في التفسير بالمأثور وهو مطبوع في ست مجلدات ضخمة من طالعه بتمعن أدهشه وأبـــهته وأسكته، ومن لم يطالعه أو طالع منه حريفات انتقد واستمرر ما يراه غيره حلوا، لباب النقول في أسباب النزول، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، خمائل الزهر في فضائل السور، اليد البسطى في الصلاة الوسطى، الإتقان وهو مقدمة التفسير الكبير، وقال الشعراني: لو لم يكن للسيوطي من الكرامات إلا إقبال الناس على تآليفه في سائر الأقطار بالكتابة والمطالعة لكان في ذلك كفاية. انتهى ما نقلته من فهرس الفهارس ملخصا.

ملاحظة

لقد علمت مما ذكرناه وتبين مما سلفناه أنه لا شك في مشروعية التوسل وما شابـــهه من الاستغاثة ونحوها وجواز ذلك بل وفي استحسانه، فحينئذ اتضح أنه لا التفات إلى مزاعم هؤلاء المتنطعين وتمويهاتـــهم المزخرفة، فمن العجب العجيب والأمر الغريب حال هؤلاء المكفرين على كل من توسل برسول الله صلى الله عليه وسلم أو استغاث أو تشفع به، وهم مع تكفيرهم على المتوسلين يعظمون علماء التفسير ويحترمونـــهم، ويحكمون بعدالة أئمة الحديث ولا يقبلون من أحد جرحهم وتنقيصهم بل إنـــهم يثقون بـــهم ويثنون عليهم بالخير ويمدحونـــهم على حفظهم السنة النبوية للأمة المحمدية وخدمتِهم لها بتمييز الجيد من الرديئ، والصحيح من الضعيف، والسليم من السقيم، وينتسبون إليهم في أسانيدهم ويعتمدون برواياتـــهم ويقرأون كتبهم ويدرسونَها، وفي نفس الوقت يكفرون كل من توسل به صلى الله عليه وسلم أو يفسقونـــهم وإن كان من أئمة الدنيا المجتهدين الذين عليهم المدار والمعوَّل، مع علمهم بأن كثيرا منهم قد توسلوا به صلى الله عليه وسلم. وهذا تَهافت وتناقض عجيب، فمرة يمدحونَهم ويأخذون بأقوالهم ويعتمدونَها، ومرة يفسقونَهم ويبدعونَهم أويكفرونَهم بتوسلهم واستغاثتهم بسيد الخلائق صلى الله عليه وسلم، لكن القلوب إذا عميت هان لصاحبها التخبط تخبط عشواء، فلا يصون عرضه عن المثالب، ويقع كالْهَمَجِ في المهالك، وهذا زمان فشى فيه الطيش

والسخافة، وقد روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن ابن عباس قال: يأتي على الناس زمان يُعرَج فيه بعقول الناس حتى لا تجد أحدا ذا عقل[1].

ومع غباوتـــهم وتخبطهم اللاعقلي يزعمون أنـــهم الفرقة الناجية وحراس العقيدة والتوحيد. فيا عجبا كيف يحرسون التوحيد وقد زادوه واعتقدوا فيه التثليث، فقسموه إلى توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات[2]. ولهم في هذا التقسيم أغراض فاسدة وأهداف سيّئة كتكفيرهم على المتوسلين والمستغثين بالصالحين كما صرحوه في كتبهم وقرروه.

وهذا التقسيم بُهتان عظيم وتشريع لم يأذن به الله و لم ينزل عليه من سلطان، و لم ترد به سنة صحيحة ولا ضعيفة، و لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين والسلف، ولا ذهب إليه إمام من أئمة المذاهب الأربعة، و لم توجد في كتب إمامى فن التوحيد أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، ولا خطر ببال أحد من الصوفية والأولياء. وقد سئل الحافظ السيوطي عن حد التوحيد فقيل له:

يا مفردا باجتهاد في الأوان ويا بحر الوفا والصفا والعلم والعمل

---

[1] حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ص٣٢٨.

[2] بل سمعت ممن أثق به وأنا في مكة المكرمة يقول: إن بعض غلاتـــهم يفكر في هذه الأيام في زيادة رابع وخامس، وهما توحيد الولاء والبراء، وتوحيد الحاكمية، فعياذا بالله من أن يكون ذلك، ومن رأي الخوارج، وإننا نتبرأ إلى الله من تثليث التوحيد أوتربيعه أوتخميسه، ونسأله تعالى أن يحيينا ويميتنا على التوحيد الذي أنزله لنا وبلغه إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والله يهدينا وسائر المسلمين إلى سوء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ما حد توحيدنا لله خالقِنا   سبحانه جل عن أين وعن مَثَل

فأجاب رحمه الله: روينا بإسناد صحيح من طريق المزني أن رجلا سأله عن شيء من الكلام فقال: إني أكره هذا، بل أنـــهى عنه كما نـــهى عنه الشافعي، فلقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال مالك: محال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه عَلَّمَ أمتَه الإستنجاءَ و لم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فما عُصِم به الدم والمال حقيقة التوحيد، هذا جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن هذا السؤال وبه أجبت[1] اهـــ.

واعتقادنا معشر أهل السنة والجماعة أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ولا شريك له في ذلك، وأن التوحيد هو أساس الإسلام وأعظم أركانه الخمسة، فقد سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. وبالتوحيد يدخل الكافر في الإسلام، وهو مفتاح الجنة وكلمة الإخلاص، فلا يُعْقَل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلّغ بعض أقسامه إلى أمته وأخفى عنهم البعض، فقد قال تعالى جل شأنه: {**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**} ولا يتهم

---

[1] الحاوي للفتاوي للسيوطي ج٢ص٣٠٤.

مؤمن بالله واليوم الآخر على المعصوم صلى الله عليه وسلم أنه خالف أمر مولاه جل جلاله فلم يبلّغه كما أمره.

ولا يخفى على من له أدنى إلمام بمعرفة الدين أن الدخول في الإسلام كان في عهده صلى الله عليه وسلم بالنطق بالشهادتين فقط، و لم يكن الامتحان والبحث عن نوع توحيده هل هو توحيد الربوبية أو قسيميه، وجرى العمل على هذا في عهد الخلفاء الراشدين ومَن بعدهم، فكل من نطق بالشهاتين بشرطهما[1] كان في الحال مؤمنا معصوما معدودا من جملة المسلمين، عليه ما عليهم من التكاليف، وله ما لهم من الحقوق الدنيوية كالعصمة لدمه وماله وعرضه، ويكون له السعادة الأخروية كالخلود في الجنان، فنداء إلى كل من يؤمن بالله ويخشاه أن لا يغترّ بـــهذه الترهات الفاشية والأباطيل الشائعة في هذا العصر في بعض بلاد المسلمين من تقيسم التوحيد وتنويعه.

---

[1] وقد جمع بعضهم شروط الإسلام في بيتين فقال:

شرط الإسلام بلا اشتباه   عقل بلوغ عدم الإكـــراه
والنطق بالشهادتين والولا   والسادس الترتيب فاعلم واعملا

وقد كان شيخنا العلامة النحرير الشيخ حسين محمد محمود الملقب بالشيخ حسين عطا يزيد عليهما شرطين آخرين الأول: النفي، فلا يكفي أشهد أن الله واحد؛ لعدم النفي، والثاني: لفظ الشهادة، لأنه صلى اله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الإسلام قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. إلخ. فتكون جملة الشروط ثمانية كما حققه شيخنا رحمه الله .

الخلاصة

لقد ذكرنا

١. توسل خاتم الرسل والأنبياء حبيب رب العالمين وخير خلق الله أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢. وتوسلَ أول الأنبياء أبينا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

٣. وتوسل نبي الله داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وذكرنا أيضا توسل بعض الصحابة مثل

٤. أمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب.

٥. وخالد بن الوليد سيف الله المسلول.

٦. وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد أيضا

٧. وبلال بن الحارث المزني.

٨. وعبد الله بن الزبير.

٩. ونابغة الجعدي

وذكرنا أيضا استعاذة بعض الصحابة رضي الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم مثل

١٠. أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

١١. وغلام أبي مسعود الأنصاري.

١٢. والحارث بن حسان.

١٣. وسودة بنت مسرح.

١٤. ورجل من أهل اليمن.

فهؤلاء ثلاثة من الأنبياء المتوسلين وأحد عشر من الصحابة المتوسلين والمستعيذين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكرنا أيضا أن بعض الصحابة كانوا يتوبون إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، منهم:

١٥. سيدتنا عائشة رضي الله عنها

١٦. وعتبة بن حصن رضي الله عنه

١٧. وحارث بن سويد رضي الله عنه

وذكرنا أيضا توسل بعض التابعين ومن بعدهم

١٨. الإمام أبوحنيفة.

١٩. والإمام التابعي الجليل محمد بن المنكدر

٢٠. والضحاك بن قيس

٢١. وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين التابعي

٢٢. والإمام الشافعي.

٢٣. وشيخ الحنابلة الخلال .

٢٤. والحافظ ابن الجوزي الحنبلي.

٢٥. وابن الحاج محمد بن محمد المالكي.

٢٦. والحافظ ابن حزم الظاهري.

٢٧. والإمام أبوزكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي.

٢٨. والإمام المجتهد تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي.

٢٩. والعلامة تاج الدين السبكي الشافعي.

٣٠. والعلامة عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة المالكي.

٣١. وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي.

٣٢. والحافظ محمود بن أحمد العيني الحنفي.

٣٣. والمحقق مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني.

٣٤. والحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الشافعي.

٣٥. والحافظ السيوطي الشافعي.

وذكرنا من القائلين بجواز التوسل

٣٦. سيدتنا عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها.

٣٧. وسيدنا باب العلم أبا تراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٣٨. وإمام دار الهجرة مالك بن أنس.

٣٩. والإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

٤٠. والحافظ البيهقي الشافعي.

٤١. وابن قدامة الحنبلي.

٤٢. وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي.

٤٣. وشمس الدين محمد الرملي الشافعي.

٤٤. وجلال الدين المحلي المحقق الشافعي.

٤٥. والحافظ السخاوي الشافعي.

٤٦. والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي.

٤٧. وإمام القراء الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري الشافعي.

٤٨. والإمام المفسر القرطبي المالكي.

٤٩. والإمام الماوردي الشافعي.

٥٠. والعلامة الشوكاني.

فهؤلاء خمسون من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابع التابعين ومن بعدهم من أئمة الدين وأساطين العلم، وورثة الأنبياء المبلغين عنهم، وهم من أهل الذكر الذين قال الله تعالى فيهم: {**فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**} وقد اتفقوا كلهم على مشروعية التوسل والاستغاثة والاستنصار والاستعاذة وجواز ذلك، بل صرّح بعضهم على سنّيَته واستحسانه، فليحذر المؤمن من إنكار واستبشاع ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وأفضلهم، وفعله أبونا آدم أول الأنبياء، وأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، وخلائق من التابعين والسلف الصالح والخلف رضي الله عنهم أجمعين.

وليس لأحد يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يسب هؤلاء المذكورين من الأنبياء والصحابة والأئمة ومن حذا حذوهم وسلك نـــهجهم ممن لم نذكرهم، وأن

يعيّرهم بالتوسل ونحوه، وأشد من ذلك كله في الوقاحة والشناعة ما يَتفوّه به بعض الأوباش الأغبياء في هذا العصر مِنْ رَمْي الشرك ونسبتِهِ إلي المستغيثين والمتوسلين برسول الله صلي الله عليه وسلم، وبالأنبياء والصالحين.

ولابد للصادق في إيمانه الراغب في نجاته أن يتقيد بقيود الشريعة، ويعضّ بنواجذه علي ما يحمده وينفعه لدي وقوفه أمام ربه، وما ذاك إلا الاعتصام بحبل الله المتين، والتمسك بسنة سيد المرسلين، والاقتفاء علي نـــهج عباد الله الصالحين، وسلوك سبل الماضين الهادين المهتدين.

فإن من خالف هؤلاء فقد اتبع هوى نفسه ووساوس شيطانه، وأباطيل الذين يحرفون الكلم عن مواضعها، قال الله تعالى: {**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**}.

فالذي ينبغي لمنكر التوسل أن يتصف بالإنصاف ويتحرر عن الجمود والتعصب والاعتساف ثم يبحث بـــهدوء بحثا دقيقا ويتفكر في الأدلة السابقة وغيرها مما ورد في هذا الباب ثم يختار بعد ذلك بين الاتباع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن ذكرناهم من الصحابه والتابعين والأئمة المجتهدين من المفسرين وحفاظ السنة المطهرة والفقهاء المحققين، وبين اتباع هذه الأراء والمزاعم التي حَدَثَتْ في أواخر القرن السابع الهجري التي لم يكن لها ذكر قبله.

وعلى الجملة إن أدلة مشروعية التوسل والاستغاثة ونحوهما كثيرة مستفيضة ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار، وهي بمنـــزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة،

كما ذكرناه في المقدمة، وقد أفردت فيها التآليف الكثيرة، وذكرها كثير من العلماء في تصانيفهم بإسهاب، ولم أذكر منها في هذا التأليف إلا النــزر اليسير، وقد ذكرت من ذلك ما يروي الغليل ويشفي العليل في كتابي (إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين) حيث أطنبت فيه الكلام وذِكْرَ النقول.

وأرجو من فضل الله الواسع أن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبله مني بفضله ولطفه وكرمه، وبجاه سيد خليقته وأشرف رسله وأنبيائه صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين، وعلى الصحابة والتابعين، وأسأله أن يستر عوراتنا، ويمحو سيئاتنا وهفواتنا، ويغفر لنا ولجميع مشايخنا، وإخواننا وأحبابنا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وقد وافق الفراغ من هذا التأليف يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ألف وأربعمائة وإحدى وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	١
خطبة الكتاب	٢
تــمهيد	٣
المقدمة	٥
تعريف التوسل	١٠
حكم التوسل	١٠
التوسل من مسائل الفروع الفقهية	١٢
أدلة التوسل	١٤
الحديث الأول: توسل أبينا آدم عليه السلام	١٥
الحديث الثاني: توسل نبي الله داود عليه السلام	١٧
الحديث الثالث: توسل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٨
ينبغي للمسلم المخلص أن يتحاشى عن استبشاع ما فعليه الحبيب	٢٢
الحديث الرابع: توسل الضرير	٢٣
الاستنصار والاستغاثة والاستعانة	٢٥
ملاحظة: اعلم أنه ورد الاستنصار بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم..	٣٠
الحديث الخامس: إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله ..	٣١
الحديث السادس: الاستنصار بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣١
الحديث السابع: الاستنصار بالأبدال	٣٢

الموضوع:	صفحة
درجة حديث الأبدال	٣٨
الحديث الثامن: الاستسقاء بقبر النبي صلى الله عليه وسلم	٣٩
القائلون بجواز التوسل	٤٠
منهم: سيدتنا عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها	٤٠
ومنهم: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة	٤١
ومنهم: الإمام أحمد بن حنبل	٤١
ومنهم: الإمام البيهقي	٤٢
ومنهم: ابن قدامة الحنبلي	٤٢
ومنهم: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري	٤٢
ومنهم: شمس الدين محمد الرملي	٤٣
ومنهم: الإمام المحلي المحقق	٤٤
ومنهم: الحافظ السخاوي	٤٤
ومنهم: الحافظ عماد الدين ابن كثير	٤٥
ومنهم: إمام القراء الجزري	٤٨
ومنهم: الإمام المفسر القرطبي	٤٨
ومنهم: الماوردي	٤٩
ومنهم: الشوكاني	٤٩
المتوسلون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٠
منهم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٠
ومنهم: خالد بن الوليد سف الله المسلول	٥٠

الموضوع:..	صفحة
ومنهم: سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد أيضا..........................	٥١
ومنهم: بلال بن الحارث المزني	٥٢
ومنهم: عبد الله بن الزبير	٥٢
ومنهم: نابغة الجعدي	٥٣
المستعيذون برسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة	٥٤
منهم: أم المؤمنين عائشة	٥٤
ومنهم: غلام أبي مسعود البدري	٥٥
ومنهم: الحارث بن حسان	٥٥
ومنهم: سودة بنت مسرح	٥٧
ومنهم: رجل من أهل اليمن	٥٩
الاستعاذة بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٩
قلت: ففي استعاذة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم برسول الله صلى الله	٦٢
بعض الصحابة كانوا يتوبون إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم.........	٦٢
منهم: سيدتنا عائشة رضي الله عنها...	٦٢
ومنهم: عيينة بن حصن رضي الله عنه..	٦٣
ومنهم: حارث بن سويد رضي الله عنه..	٦٤
المتوسلون من التابعين ومن بعدهم.......................................	٦٥
منهم: الإمام أبو حنيفة	٦٥
ومنهم: التابعي الجليل محمد بن المنكدر	٦٥
ومنهم: الضحاك بن قيس..	٦٨

الموضوع	صفحة
ومنهم: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين	٧٠
ومنهم: الإمام الشافعي	٧١
ومنهم: شيخ الحنابلة الخلال	٧١
ومنهم: الحافظ ابن الجوزي الحنبلي	٧٢
ومنهم: أبو الخير الأقطع	٧٣
ومنهم: ابن الحاج المالكي	٧٤
ومنهم: ابن حزم الظاهري	٧٤
ومنهم: الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي	٧٥
ومنهم: تقي الدين السبكي	٨٠
ومنهم: تاج السبكي	٨٢
ومنهم: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة	٨٥
ومنهم: الحافظ العسقلاني	٨٥
ومنهم: الحافظ محمد بن أحمد البدر العيني	٨٦
ومنهم: مسعود بن عمر التفتازاني	٨٦
ومنهم: الحافظ القسطلاني	٨٧
ومنهم: الحافظ السيوطي	٨٨
ملاحظة	٩٤
الخلاصة:	٩٨
فهرس الكتاب	١٠٤

مصنفات المؤلف

١) إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

٢) التيجان المكلله في شرح النصائح المرسله

٣) المِنح الوهبيّة في ذم القبليّة والعصبيّة

٤) اللآلي السنيّة في مشروعية مولد خير البرية

٥) التبيين في أدلة التلقين

٦) التحفة في نشر محاسن البرده

٧) أنيس الجليس في ترجمة السيد أحمد بن إدريس

٨) التوضيح في شرح أذكار التسبيح

٩) المنتخب في شرح أوراد مرحب

١٠) البرهان في جواز الذكر بلفظ هو للملك الديان

١١) ترجمة الشيخ ابن حجر الهيتمي

١٢) منية اللبيب في التبرك بآثار الحبيب صلى الله عليه وسلم

١٣) النصائح المرسلة إلى طلاب العلم لله والآخرة

١٤) إرشاد الطالب إلى أحكام الشارب

١٥) تنبيه الأكياس على مساوي الوسواس

١٦) ديوان القصائد والمدائح النبوية

١٧) المنهل في أدلة التوسل، وهو الذي بين أيدينا.

وقد طبعت هذه الكتب كلها ولله الحمد بدأ وختما .

١٨) إعلام المؤمنين بمشروعية التبرك بقبور الصالحين، تحت الطبع

وللشيخ مصنفات أخرى لم تكمل بعد، ونرجو من الله تعالى التيسير في إكمالها وطبعها، فإنه المستعان والموفق .